

التوفيق والعمل

بين الحضارة والاسلام

تأليف

رضوان شافعي المتعالي

من علماء مدرسة القضاء الشرعي

(وكذلك أوحينا إليك روحاً من
امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك
لتهدي الى صراط مستقيم)
قرآن كريم

فهرس كتاب التوفيق العملي

Figure 1

کلمة فی هذا الكتاب للسید رشید رضا

٢	خطبة حافلة
٤	تمهيد وجيز
٧	وعد بعض العلماء بالتوفيق
٨	الحضارة لغة وعرفا
٩	حاجة الدين الى العلوم الحديثة
٩	الاستدلال بنظريات علم الكيمياء ونحوه
١٠	حكم استخدام النظريات الحديثة في استنباط الاحكام الشرعية
١١	نموذج لاستخدام نظريات علم الكيمياء في الاستنباط المذكور
١٢	» » » الطبعة » » »

الظاهرة الاولى

الظاهرة الثانية	١٣
الظاهرة الثالثة	١٤

١٨ نموذج لاستخدام نظريات علم الهندسة في الاستنباط المذكور

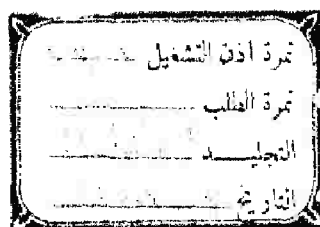
١٩ البرهان الهندسي والاستدلال الشرعي

٢١ نموذج لاستخدام نظريات الجغرافيا الطبيعية الحديثة

في فهم الايات القرآنية على وجهها

٢٤ الامطار : انظر الى آراء فلاسفة الحكماء والمثقلة وبعض أهل الاثر

والاشاعة ، ثم انظر الى كلام الوحي الامين مع النظريات الحديثة



٢٧	نموذج لاستخدام نظريات علم الهيئة الحديثة
	في فهم الآيات القرآنية على وجهها
٣٢	الجذب العام بين الارض والسموات العلا
٢٨	السموات السبع
٣٢	متى الساعة ؟ وكيف تكون ؟
٣٤	ملحوظة ذات بال
٣٦	الشمس والقمر ونظرية الطيف
٣٩	نموذج لاستخدام نظريات علم الفلك في فهم الآيات القرآنية على
	وجهها وشيء من علم الهيئة أيضا
٤٣	السؤال عن الهلال والجواب عن السؤال
٤٨	نموذج لاستخدام نظريات علم النبات وعلم الحيوان في فهم الآيات
٥١	« « « « الطب : —
	(١) في استنباط الاحكام الشرعية
	(٢) في فهم الآيات القرآنية
	« « « « التشريح : —
	أولا في كتاب الصوم
٥٢	ثانيا « « «
٥٣	ثالثا باب ثبوت النسب
٥٤	رابعا في سورة قد أفلح المؤمنون
٥٦	الإخلاق والمادات

فهرس كتاب التوفيق العملى ج

صفحة	
٥٧	التوفيق بالبرهان بين الدين الحنيف وبين الحضارة فى الاخلاق
٥٨	الايثار - الحكمة والحزم
٥٩	الصبر
٦٠	الشجاعة
	العفة
٦٢	أداء الواجب للواجب
	الاحسان فى كل شىء
	العدل المطلق
	الشجاعة الادبية
	ترك الانتقام السيئ
	العفو عند المقدرة
٦٣	حسن المعاملة بين الناس - علم الاخلاق الاجتماعى
٦٤	« « « أفراد الاسرة وحقوق المرأة
»	الحكم الاخلاقى لا يصدر الا على عمل الارادة
٦٥	نموذج لاستخدام نظريات علم النفس فى فهم الآيات القرآنية فهما صحيحا
٦٧	الدين الاسلامى وحرية الاعتقاد
٧١	» » صالح لكل زمان وكل مكان
٧٣	خاتمة جامعة

﴿ كلمة في هذا الكتاب لصاحب المنار ﴾

امتازت مدرسة القضاء الشرعي في مصر بأنها أول مدرسة دينية اسلامية افرغت في احدث قوالب النظام المدرسي العصري ، وجمعت بين أسلوب التعليم الازهري التقليدي ، وأسلوب التعليم الاستقلالي ، وضمت الى فنون اللغة العربية وعلوم الشرع ، حظاً موفوراً من الفنون الرياضية والطبيعية وعلوم العصر ، فتخرج فيها باختلاف الاستعداد الفطري والتربية المنزلية وبيئة المعاشرة أزواج ثلاثة: أناس أقرب الى جمود المدارس الدينية ، وافراد أدنى الى ميعه المدارس العصرية ، ووسط بين الطرفين هم خالة طلاب الاصلاح لهذه الامة ، فهي لن تكون أمة عزيزة في هذا العصر الا اذا كثر فيها الذين يعقلون دينها الذي قامت على أساسه حضارتها التي تداعى بنيانها ، ويعرفون وجه حاجتها الى الفنون والنظم التي قامت عليها مدينة هذا العصر ، ويستطيعون السير بها في الجادة التي يكونون بها مساهمين مدنيين ، أعزة سائدين ، وقد وجدنا في نابتة هذه المدرسة مدداً لهؤلاء الجامعين للأمرين هذا كتاب (التوفيق العملي بين الحضارة والاسلام) باكورة تصنيف أحد نابغي علماء التخصص في هذه المدرسة وهو الاستاذ الفاضل الشيخ رضوان شافعي المتعافي الذي أخرجته مطبعة المنار للناس شاهد لهذه المدرسة بما قلنا

وجه مصنفه فهمه فيه الى التوفيق بين حضارة هذا العصر وبين الدين الاسلامي ليثبت لفريقي الجامدين والمتفرنجين انه لا تنافي بينهما في الجوهر المقصود منهما ، أورد فيه نماذج من استخدام أحدث نظريات العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والطب في استنباط الاحكام الشرعية بحسب فقه الحنفية الذي يتوسعون فيه بهذه المدرسة ونماذج أخرى في التوفيق بين علم الهيئة الحديث والجغرافية الطبيعية وبين القرآن الحكيم ، وألم يبحث التوفيق بين هداية الدين في الاخلاق وبين الحضارة الصحيحة وبحث حرية الاعتقاد في الاسلام وبحث كونه صالحاً لكل زمان ومكان . وفي بعض مباحث الكتاب ما لم نره لغير مصنفنا من الذين سبقوه الى الكتابة في هذا الغرض فهو مستقل الفكر ، ولنا في استقلال فكره واستعداد عقله للاستنباط ، وحسن عبارته ما يشرنا بان هذا الحلال الذي طلع علينا من كتابه الجديد سيكون بدرأ كاملاً ان شاء الله تعالى

(محمد رشيد رضا)

صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض ، وجعل الظلمات والنور
والصلاة والسلام على النبي الامي الذي يوافق دينه كل المصور. والذي
آخى بين الدنيا والدين . فحما الرهبانية وأنار للمسلمين سبيل الحضارة
والمدينة وعلى آله واصحابه ومن نسجوا على منواله

وبعد فقد أخذ فريق من الناس يسطون السننهم نحو الدين الحنيف
ليسوءوا جماله ، وليغضوا من جلاله ، كما يهودون به الى هوة منحطة ،
فيهنون عليهم بعد ذلك أن يقبروا فيها جثمان الدين ، حتى يكون الدين
أن لا دين . فيمرقون من الاديان قاطبة مروق السهم من الرمية ، ويغشاهم
مذهب الدهريين الضالين . فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين

بيننا نرى رجال الدين غير دائبين على تعزيره ، ولا مكافحين لتعزيره
لا يصدعون بالرأي ، ولا يرأبون الثأري . فكانت مغبة ذلك أن شبه الحضارة
قد رانت على افئدة كانت لا ترى غير الله مذهبا ، ولا تعرف غير القرآن
والسنة منقلبا . ألا وإنا لمشفقون أن تكون معذرتهم أن الدين قد أبده
السابقون بحجج كثيرة في كتب شتى تجعل السائلين في غنية عما سواها . فهذه
لا ريب معذرة داحضة . فان كتب الساف الصالح لم تتعرض لشبهات
القرن العشرين ، تلك الشبهات التي تقذف به النظريات الحديثة ، وتحدها
المستكشفات الغضة . مثل قولهم « إن تاريخ قدماء المصريين المرقوم على
آثارهم التي ظهرت حديثا يدل دلالة بيينة على انه لم يكن في مصر نخيل

زمن الفراعنة فما قولكم في قوله تعالى حكاية عن فرعون مصر اذ يقول
للسحرة (ولا صلبنكم في جذوع النخل)؟ فما تكاد تجد لهذا جوابا مقنعا في
غضون تلك المؤلفات فضلا عن أن بعضها قد حشى بالثرهات والخرافات
التي كان يخفى أمرها ظلمات الجهالات . فلما طلع عليها جفر العلوم الحديثة
هتك سترها ، وفضح سرها فاذا بها ، والحق ينعيها ، والبطالان يكيها مع
مع كثرة المستمسكين بها ووفرة المحافظين على إحقاقها

فاصبحنا اليوم امام حزينين اثنين (أحدهما) ينظر الى الدين وهو
مودع في بطون تلك الاسفار المحشوة بالخزعبيلات نظرة موبقة (وثانيهما)
يرمقه كأنه مكنون في صدقاتها ولو تركنا كل فريق يعمن في سبيله فذلك
يعمن في سبيل الدنيا وغضارتها وهذا يعمن في سبيل الآخرة لا ذنا بفصل
الدنيا عن الدين . ولصار الحراس الساهرون على الدين أناسا هم أقل
الفریقین بالا ، واوهاهما حالا ، فيندحر الدين باندحارهم ، ثم يندلع لهيب
الحضارة على آثارهم ، فيقضي على الدين وهو في ريمان الفتوة . ويومئذ
نكون كالتي تقضت غزلها من بعد قوة (ولا قدر الله)

لذلك كان حقا علينا أن نكشف عن وجه الدين ليستبين مجلوا ويظهر
صافيا كما كان أول عهده فيعلم أهل الحضارة الهوجاء أنه لا يناقضها ، ويعلم
أهل الدين الحنيف أنها لا تنبوعنه بل تأوى الى اصوله ويسكن الى
محدثاتها والسبيل الى ذلك أن نقطف النظريات الحديثة اليقينية سواء في
ذلك العلوم الكونية مثل علوم الكيمياء والهيئة والحيوان وغيرها كعلوم
الاخلاق والنفس ثم نتخذ منها براهين قطعية على ما يريد من التشريع
الديني وعلى بيان اعجاز الآيات القرآنية التي نزلت على النبي الامي ، وهذا هو

التوفيق العملي الذي توخيناه ولا شك أن من علم به يعمل على وفقه ليسلم له دينه ويخلو له وجه دنياه فلا يكفر بالآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولما كان يعز علينا اليوم أن نستقصي كل المسائل في هذه المجالة آثرنا أن نذكر منها ما يكفل لنا بيان المحجة التي تنتهي بنا الى خير غاية وارجأنا ما وراء ذلك من بقية الى حين . والله هو الموفق والمعين

تمهيد وجيز

قد رأينا سيلا من الحضارة جارفا كاد يقصم ظهر الدين ، وطفقت تنخلع له قلوب قوم مؤمنين ، هطل من الغرب صوبه ، وانساب الى الشرق سيده ، قاوشك أن يكتسح الايمان من قلوب كثيرة من غير ما مقاومة ولا مخالفة ولا أناة

رأى الناس حضارة مادية تسجر الابصار ، وتسترق الالباب ، فقال اكثرهم : الى عظمة اهلها تنتهي العظمة ، والى معجزات هؤلاء يقف حد الاعجاز ، فشخصوا ابصارهم مطعين ، ورآوا الى سماء الحضارة مستشرقين فتأهت افقدهم في نواحيها ، وجنحت مشاعرهم نحو تقليدهم . فقلدوهم ولكن في أيسر الامور لديهم ، قلدوهم في أقوالهم وهياتهم وعاداتهم ونحو ذلك مما هو ليس من تلك الحضارة المادية التي بهرتهم ولا هو من اخلاقهم وعادهم التي كانوا عليها ، ولا هو من الحضارة الصحيحة التي أمروا بها ولكنهم ظنوا أن هنالك تلازما بين كمال الاخلاق ورفعة العادات وبين هذه المخترعات وتلك المحدثات

حسبوا أن من يصنع « منطادا » عظيما يخلق في الفضاء يكون الهدى

بين برديه ، ومكارم الاخلاق بين جنبيه ، وحسبوا أن من يخترع مدفعاً يلقي بالقذيفة تتفجر عن دخان السموم فيختنق به أخوه الانسان من مكان بعيد — حسبوه المثل الاعلى في الاخلاق ، وخيل اليهم أن من استكشف الالوان السبعة « اللطيف » يكون اسوة حسنة وقدوة عالية في كل شيء حتى فيما لا علم له به من الاخلاق الفضلى ، والصفات الحسنى وحيل بينهم وبين هذا الدين ، بل زعموا أن كل اولئك يجب تقليدهم في كل امر يرضونه هم واعقابهم من بعدهم ، لانهم برهنوا على كفاءتهم في حل المسائل الكونية المادية فكانوا أكفاء لان يقتدى بهم في سواها أيضاً ولا شطط ولا وكس ان قلنا ان مثل هذا التقليد الاعمى لاهل المادة كمثل من يتخذون العجل لها يعبدونه لانه ذو قوة عظيمة بها يثير الارض ويسقي الحرت ، واين المادة من الاعتقاد ؟ ولكن : الهوى ماتولى يصم أو يصم :

فاذا قال قائل الدين (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم) الآية لا يأبهون له ، وتراهم يسمعون وهم غنه مصروفون ولو قال قائل من أهل الحضارة ان علماء الاخلاق الغربيين يحمدون الشجاعة الادبية ويثنون على صاحبها — الذي يقول الحق ولو على نفسه — ثناء عاطراً ، قالوا ان هذا هو القصص الحق والقول السديد الذي به رقي الافراد وتقدم الامم

واذا قال خطيب المنابر ان الله يقول (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) رأيت المتجافين عن دينهم من عبدة الغربيين ينفضون رؤوسهم ويقولون . هذا تدخل في

الحرية الشخصية . هذا استبداد عظيم . واذا قل متكلم من أهل المدينة أن بعض المصريين (مثلا) قد ربحوا في القطن حين غلا ثمنه ربحا عظيما ثم أسرفوا وشتموا شمل ما جمعوا . مع انهم لو نظروا الى أولئك الغربيين الذين سبقونا الى الحكمة والمصاحبة الحسنى لوجدوا منهم اعلى مثل في القصد والاعتدال . ولا ترى منهم مبذرا ولا مقترا الا معتدلا مقتصداً والفضل في ذلك لعلماء الاقتصاد بينهم اذا قال ذلك طاروا بقوله فرحا واتخذوا من خلاله ادجاءا وثناء مستطابا

واذا انبري للتبشير مرشد من أهل الدين يبين للناس أن كتاب الله خبر دستور (قانون) وأن دين الاسلام خير أديان البرية (كلما ثور عن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم) وانه لو لم يكن ديننا لكافى اخلاق الناس حسنا (كما اثر عن اكنم حكيم العرب) : قالوا متمصب لدينه متحيز الى شرعه جامد ليس من أهل الحضارة واذا انبري لهم امرؤ من أهل المدينة ينطق بالحق لا يبغى به ثمنا ولا يعدل بالصراحة بدلا . قائلا لهم : قال بسمارك الالماني يمدح الاسلام « ان المسلمين تركوا دينهم فذلوا وإن النصارى تركوا دينهم فعزوا » وقال تولستوي فيلسوف روسيا العظيم كيت وكيت بقرظ الاسلام وقال غوستاف لبون فيلسوف فرنسا مثل ذلك - اذا قال ذلك - رأيت حالهم تبدلت الى حال وغامت وجوههم بسحاب الدهش التي أثارها تلك الآراء الحديثة الغربية . وخضعوا لاحق بعد ماتين وركعوا للصواب بعد ماتجلى وما جلى غمتهم ولا نفع غلتهم الا شهادة الغربيين

واذا قال واعظ (يا أيها الذين آمنوا انما الحمر والميسر والانصاب

والإلزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (قالوا ان لنا في أمم الغرب الاحياء أسوة ولو كان الخمر ضاراً لسبقونا الى تحريمه : ولو قيل نشر في احدى الصحف ان أمريكا حرمت شرب الخمر وأن الامم الاوروبية قد أخذت تحذو حذوها قالوا يانعم المصالحون . والله ان الخمر لتذيق الشاربين ضروب الامراض من كأس امشاج . وتجوس خلال الفؤاد مرثها . وتغشي الوجوه شرثها . وتذهب بالحزم ، وتضي أولي العزم ، شاربها فقير ، وصاحبها حسير ، يبتغي الخلاص ، وليس له عنها مناص ، ويرتجي الفرار ، من عارها الشنار ، ويود الهروب ، من حكمها المشؤوم ، حتى اذا شربها الذمته ندامتها ، وأنقضت ظهره مرارة عاقبتها ، شهد بذلك الاطباء وجهر به أحكم الحكماء الخ الخ

فلا يا أهل الحضارة ما هذا التجيز ان الحق فذ بين ، هذا القول قول الله ، وذلکم الحكم حکم الله ، نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ، ولكن ، يؤفك عنه من أفك ، ألا فويل للدين منهم ثم ويل لهم من صاحب الدين مـ

وعد بعض العلماء بالتوفيق

سمعت أستاذاً لنا يقول في أواخر سنة ١٩١٨ قبيل الثورة المصرية (قاض بالحاكم الشرعية الآن) ان عظمة السلطان (الملك فؤادا) زار معهد طنطا وكان مما قيل بين يديه : يا صاحب العظمة إنا ان شاء الله عاملون على التوفيق بين الحضارة والدين : فسررنا لاذ ذاك بهذا النبأ الجليل ، وتشرفنا لمشرقه الحميد ، عسى ان يظهر الدين في ثوب قشيد ، فظلمنا نرتقب ،

ولبئنا كذلك نتجرع مرارة الانتظار ونتفياً ظلال الصحف السيارة، علمنا
نجد ضالتنا المذسودة فاجدنا لا أحدهم ساء ولا سمعنا الى اليوم نبسا ،
فانبعثت نفسي الى الكتابة في هذا الموضوع أملا في استئصال شأفة ذلك
النقصير الذي علمت بنا لوثته وقلت: ان جهد المقل غير القليل : وان يشاء
الله يحبس على كل قائل قوله ، ويؤت كل ذي فضل فضله

الحضارة

الحضارة لغة - الإقامة في الحضر ، عن أبي زيد بالكسر (كسر الحاء)
وقال الاصمعي بالفتح (الصحاح) وفي القاموس الحضارة ويفتح
خلاف البادية اهـ

وقد صارت كلمة الحضارة تطلق عرفا على (١) العلوم والمعارف
الحديثة (٢) على الاخلاق والعاذات التي عليها أهل الحضر
فالعلوم الحديثة تشمل الكيمياء والطبيعة والهندسة والطب والهيئة (الخ)
المؤسسة على أحدث النظريات التي أصبحت معززة بالتجارب البيئية
والمشاهدات الصادقة في الارض والسماء ، وبطون البحار وفي طبقات الهواء ،
ولاشك ان هذه العلوم أيام بزوغ شمسها في سماء بلاد العرب كانت تركز
الى العقل أكثر من ركونها الى البصر لغيوبة الآلات الحديثة عن أفق
العلم يومئذ ، فكان أكثر نظرياتهم ظنيا ، فلما أخذها الغربيون وبنوا عليها
وشيدوا ، وجددوا وأوجدوا ، ظهرت غير التي كانت ، فاحتك منها بآي
القرآن شيء كثير واختلط منها بأحكام الدين ما يجب التأليف بينه وبينها
كما سنذكره مفصلا ان شاء الله تعالى

﴿ حاجة الدين الى تلك العلوم ﴾

ان الحكمة الرشيدة تقضي بادخال تلك العلوم في احكام الدين الخفيف كي نستعين بنتائجها المثمرة على فهم حكم الله الذي اراده ونقف على سر مكنون آيات الله المحكمة ، ليزيد الحق تبياناً ، ويزداد القلب ايماناً ، بل ليسير الدين والدنيا معاً ، حتى تكون كلمة الله هي العليا . لما ان فعلنا ذلك نكون قد آوينا بين الدين والحضارة الحديثة ، ووفقنا بينهما توفيقاً عملياً تدرج به هاتيك الحضارة الغناء في سلك هذا الشرع الحكيم ، ويصبح الحكم الشرعي درة في تاج تلك القوانين . ويمز الله دينه فوق كل دين (والله العزة ولسوله والمؤمنين)

﴿ الاستدلال بنظريات علم الكيمياء ونحوه ﴾

مما لا ريب فيه أن نتائج علم الكيمياء اليوم يقينية وكذلك معظم العلوم الحديثة فلا يجوز خلالها الوهم ، ولا ينخر في انحائها الشك ، وربما نركب متن الشطط إن نحن رمينا تجربة من تجاربها العملية بالخطأ ، أو الزيف عن جادة المعقول . فاذا نظمنا تلك النتائج اليقينية ، في سلسلة مقدمات شرعية ، فاننا نتلقى نتائج شرعية يقينية لا محالة

واذا انبعث القلم بذكر حكم شرعي انتجته تلك المقدمات الصادقة فانما ينبعث بذكر الحق اليقين . واذا استرسل الفؤاد في التفكير الحميد فرجع رأياً على رأي ، أو كشف عن خطأ حكم ، فانما يسترسل في ذكرى سلف صالح من أهل الفضل ، موفوري الكرامة ، ليس للشين في تقواهم شامة ،

ولا للكذب في دعواهم علامة

ولإنما نحن ننشد الصواب والدين يحدونا ، والخوف من تيار الحضارة
الموجاء يعلمونا ، وكلنا ينزع عن قوس الاخلاص الخالص لرب هذا
الدين . فلا تمصب ولا وكس ولا ابتثاث ومن ضل عن سبيل الله فقد
هوى ، والاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى

(حكم استخدام النظريات الحديثة في استنباط الاحكام الشرعية)

المراد بالاحكام الشرعية أحكام المسائل التي تتعلق بالدين الاسلامي
وترجع الى اصل مقطوع بثبوته عن رسول الله عليه أفضل الصلاة
والسلام . فاذا اريد استنباط حكم فرع من آية المحرمات في الزواج مثلا التي
لا ريب في ثبوتها عن الله ورسوله أمكن استخدام ما يتيسر من النظريات
المقطوع بصحتها بدون امتراء من علوم الطبيعة والكيمياء وغيرهما لمعرفة
حكم الله في ذلك الفرع . وهل يتطرق الى الذهن شك في صحة النتيجة التي
تنتجها مقدمات قطعية بالمشاهدة ؟ ولا يخفى أن حكم الله في فرع لم ينص
على حكمه بنص قاطع يجب ألا يكون مخالفا لما هو واقع يقين . وهل بعد
رأي العين يقين ؟ وحسبنا أن نقول فوق هذا إن الحس حاكم يهمن على
صحة الاحاديث كلها ، والحديث الذي يخالف الحس يكون مردودا كما تقرر
في موضعه ؛ أفلا تكون المشاهدة بالتجارب العملية ، حاكما على الفروع الدينية ،
ليظهر حكم الله الصحيح في كل منها ويدمغ اليقين طريقة الظن والحدس
والتخمين ؟ وهل يصار الى الظن حيث امكن المصير الى اليقين ؟ كلا ان
الظن لا يغني عن الحق شيئا ، بل إنما يصار الى الظن ضرورة عند تعذر

اليقين والضرورة تقدر بقدرها. وحينئذ يجب استخدام النظريات الحديثة في الاستنباط وكذلك يسهل علينا الحكم على فرع من الفروع التي استنبط الفقهاء أحكامها عن الظن بأن هذا الاستنباط صواب أو خطأ يبين ويتبين ذلك فيما يأتي

﴿ نموذج لاستخدام نظريات الكيمياء في الاستنباط المذكور ﴾

قال في فتح القدير (باب الطهارة) اذا اختلط تراب نجس وماء نجس قبل هذا الخليط طاهر لانه صار شيئاً آخر . قال السكhal ابن الهمام وهذا بعيد . فقد اختلف فيما لو كان أحدهما طاهراً ، فقل العبرة للماء ، ان كان نجساً فالطين نجس والافطاهر . وقيل العبرة للتراب ، وقيل العبرة للغالب ، واكثر الفقهاء على أن أيهما كان طاهراً فالطين طاهر

هكذا اشبه الحكم على هؤلاء الاعلام رحمهم الله تعالى حتى ذهب بهم الظن الى مناح شتى وآراء متناقضة ، مع اننا لو طبقنا هذه المسألة على قواعد الكيمياء لتبين اننا الحكم اليقين من بين تلك الآراء المختلفة

وبيان ذلك أن الماء والتراب اذا اختلطا ، فاما أن يحدث من اختلاطهما اتحاد كيميائي ، واما أن يحدث مجرد مزج واختلاط ، فان حدث اتحاد ينتج مركبا كيمياويا يغير كلا من الماء والتراب النجسين ، فانه يلزم أن يكون هذا المركب طاهراً ، لان هذا المركب من عنصرين (أحدهما التراب النجس والآخر الماء النجس) اصبح مغايراً لهما في خواصهما وصارت له خواص قائمة به حادثة بعد ان لم تكن له ، والنجاسة كانت في أحدهما أو فيهما فكانت من خواص ما أصابته ، فيكون المركب الحادث مغايراً

لغرضه في خواصهما ومن بينهما النجاسة ، فيكون طاهراً ، ولعل هذا مرمى علة القول الذي قال لانه صار شيئاً آخر وحينئذ فيكون القول بنجاسة هذا المركب مائلاً عن الصواب

وأما إذا لم يحصل من اختلاطهما سوى مجرد المزج فالخلوط الحاصل من الماء والتراب (سواء أكانا نجسين أم كان أحدهما وحده نجساً) نجس بيقين ، لان خواص الخلوط (١) تساوي خواص عناصره جميعاً أي يبقى كل من الماء والتراب حافظاً خواصه التي كانت له قبل الخلط . وحينئذ فالقول بظاهرة هذا الخليط ليس من الصواب في شيء وقد علمنا ان الخليط من الماء والتراب مخلوط وليس بمركب وبذلك يتجلى الحكم الشرعي انصواب وهو المذكور آخر

﴿ نموذج لاستخدام نظريات علم الطبيعة في الاستنباط المذكور ﴾

— الظاهرة الاولى —

قال في الفتح أيضاً

روي عن أبي يوسف في الدهن ينجس بماء في اناء ثم يصب عليه الماء فيعلو الدهن فيرفع بشيء هكذا قبل ثلاثاً فيطهر . اهـ . وهذا في الدهن السائل كما هو واضح من طريقة التطهير وليست هذه الطريقة الا ظاهرة طبيعية علمت من أن الماء أعظم كثافة من الدهن حتى رسب الماء وطفا الدهن ولكننا نقول بالطريقة المروية عن أبي يوسف مبنية على النظر الى الكثافة

(١) والفرق بين الخلط أو المزج وبين الاتحاد أو التركيب الكيماوي المذكور بوضوح في كتاب مبادئ الكيمياء وغيره

وحدها من غير نظر الى الذوبان ولوراعيناه (ويجب علينا ان نراعيه) لتبين
لنا ان هذه الطريقة لاتصلح مطهرا وبيان ذلك : ان النجس ان كان
لا يذوب في الدهن فلا ينجس الدهن ابداً ومثال ذلك طائفة من ماء نجس
وقعت في دهن سائل فانها لاتنجسه لانها تسقط الى القاع بتمامها من غير ان
تتخلف ذرّة منها خلال الدهن السائل . فيبقى الدهن كأن لم يمر به شيء .
وان كان هذا النجس من الاشياء التي تذوب في الدهن (والماء
لا يذوب فيه) فكيف يتسنى للماء ان يأخذ في أثناء رسوبه ذرات النجس
من مسام الدهن التي تخللتها تلك الذرات . إذ دخول الماء في مسام الدهن
عبارة عن ذوبان الماء في الدهن (١) مع ان الماء لا يذوب في الدهن . وحينئذ فلا
تفيد هذه الطريقة في التطهير

بل يمكن تطهير هذا الدهن السائل ان نجس بشيء مطلقا (سواء
أكان يذوب في الدهن أم لا) بفصل النجس من الدهن أو بالمواد الكيميائية
إن أمكن . أو بغلي الدهن حتى تفسد الحرارة تركيب النجس فتطهر ذراته
بالاستحالة . وسنبعث هذه الطريقة - في الظاهرة التالية - بإيجاز من جهة
اعتبار الشرع ذلك مطهرا

﴿ الظاهرة الثانية ﴾

قال في الفتح أيضا :

وتطهير العسل النجس (الذي وقعت فيه قطرة دم مثلا) على قوله
(أي على قول الامام أبي يوسف) ان يصب عليه ماء فيغلي حتى يعود الى
(١) الذوبان هو أن تتخلل جزيئات الجسم المذاب مسام الجسم المذيب

القدر الاول ثلاثا فيطهر اه

وما هذا الا ظاهرة « البخر السريع » (في علم الطبيعة) غير انا وجدنا ان البخار إذا تكاثف صار ماء خالصا من كل شائبة وهو ما يسمى « الماء المقطر » وليس يصعد معه شيء من المواد التي ذابت في مصدره (وهو الماء المنلي) وعلى ذلك فتبقى ذرات قطرة الدم « مثلا » في العسل كما كانت قبل طريقة التطهير . هما كررنا تلك الطريقة . نعم ان البخار المتصاعد طاهر واذا تكاثف صار ماء زلالا ، قراحا طهورا ، ولكن مصدره باق على حاله . وحينئذ فوضع الماء على العسل وتبخيره ثلاثا لم يذهب عين النجاسة . الا اذا قلنا ان ذلك يفسد تركيب قطرة الدم فتطهر عينها بالاستحالة لا بالازالة . لكن تطهير قطرة الدم بالاستحالة لا يحتاج الى هذا الماء كله ولا الى هذا التكرار ثلاثا ، بل يكفي غليان العسل دقائق معدودة بدون ماء أو مع قبال من الماء ، ولو قبل ان التطهير بالماء ثلاثا أمر تعبدي قلنا ان الغسل بالبخر لم يرد مطهر آ عن الشرع فالقول به عتلي بحت ، فيجب ان نحلي بينه وبين العقل ليحكم عليه بمقتضى التجارب العلمية اليقينية

﴿ الظاهرة الثالثة ﴾

قال في الفتح — فصل المحرمات —

النظر من وراء الزجاج محرم بخلاف النظر في المرأة . ولو كانت في الماء فنظر فيه فرأى فيه ثبتت الحرمة ولو كانت على الشط فنظر في الماء فرأى لا يحرم (١) كأن الدلة والله اعلم أن المرئي في المرأة

(١) أي لا يحرم هذا النظر اذ لو المرأة المنظور اليها وان ملون ولا فروعها وان نران بل يحل له التزوج باحداهن حينئذ

مثاله لاهو ، وبهذا علموا الحنث فيما اذا حلف لا ينظر الى وجه فلان فنظره في المرأة أو الماء ، وعلى هذا فالتحريم به من وراء الزجاج بناء على نفوذ البصر منه فيرى نفس المرئي بخلاف المرأة والماء (وهذا ينبغي كون الابصار من المرأة ومن الماء بواسطة انعكاس الاشعة وإلا لرآه بعينه بل بانطباع مثل الصورة فيهما) بخلاف المرئي في الماء لان البصر ينفذ فيه اذا كان صافيا فيرى نفس ما فيه ، وان كان لا يراه على الوجه الذي هو عاينه ولهذا كان له الخيار اذا اشترى سمكة رآها في ماء بحيث تؤخذ منه بلا حيلة وتحقيق سبب اختلاف المرئي فيه في فن آخر اهـ

هذا كلام الكمال بن الهمام وهذا استنباطه وتعليله وكلام مبني على ما تقرّر في نظريات الضوء من انعكاس الاشعة وانكسارها وترتب على ذلك التعليل الطبيعي (١) فهم الحكم الشرعي في ثلاث من المسائل الهامة (أولاها) مسألة التحريم بالنظر في المرأة أو الماء أو عدم التحريم وذلك في باب الزواج (وثانيها) مسألة الحنث أو عدمه فيما لو حلف لا ينظر الى وجه فلان مثلاً فرآه في المرأة والماء ، وذلك في كتاب الايمان (والثالثة) ثبوت الخيار أو عدمه فيما لو اشترى سمكة في الماء « مثلاً » بحيث رآها فيه فقط وذلك من كتاب البيع

غير أن صاحب المتح رحمه الله أراد أن يذكر وجه الفرق بين ثبوت التحريم في حالة رؤية المرئي في الماء وبين عدم ثبوت التحريم في حالة الرؤية من المرأة أو سطح الماء (٢) فقال « وهذا ينبغي كون الابصار من المرأة ومن الماء بواسطة انعكاس الاشعة وإلا لرآه بعينه بل بانطباع

(١) نسبة الى (علم) الطبيعية (٢) أي رؤية الصورة على سطح الماء

مثل الصورة فيهما »

ومعنى هذا انه لو ثبت (ولم ينتف) كون الابصار من المرأة ومن
سطح الماء بواسطة انعكاس الاشعة لآه بعينه ، وينبغي على ذلك ثبوت
التحريم في حالة النظر الى المرأة والى سطح الماء
ولكننا أخذنا في نظريات انعكاس الاشعة أن سطح المرأة وكل معدن
مصقول اذا وقعت عليه الاشعة فانه يعكسها والمراد من الاشعة المنعكسة
هي أشعة الجسم المرئي وهي التي تقع على سطح المرأة أو الماء ، وهذان
السطحان يعكسان الاشعة المذكورة حتى تقع على شبكية العين
واذا ثبت أن المرأة تعكس الاشعة المذكورة فلا يترتب عليه رؤية
المرئي بعينه بل رؤية صورته التقديرية (في المرأة المستوية)
وأما قول الكمال بن الهمام وإلا لآه بعينه (١) فمنهاه وان لم ينتف كون
الابصار من المرأة بواسطة انعكاس الاشعة لآه بعينه وهذا لا يتأتى إلا إذا
قلنا إن المراد من الاشعة المنعكسة هي أشعة البصر التي تلبث عند ابصار
الشيء (٢) وذلك ما كان يعتقد قداماء اليونان وقد دونوه في فلسفتهم ثم
أخذه العرب عنهم في قوانين علوم الطبيعة والكيمياء الخ
وأما ما ثبت اليوم بالتجارب اليقينية فهو أن العين لا ينبعث منها شعاع
الى المرئي (وانظر مقاله بعض العلماء في سبب تأثير العائن في المعيون)
بل تقع أشعة متفرقات على شبكية العين (الحدقة) بعد انعكاسها على المرئيات
أو عليهما ثم على المرأة

(١) فيه دخول اللام على جواب أن الشرطية المدغمة في لا . وتصحيحه
وإلا لآه بعينه (٢) ثم تنعكس على المرأة حتى تقع على المرئي فيراه بعينه هذا مراده

جاء في كتاب خلاصة الطبيعة ، الجزء الخامس في الضوء صفحة (٤٥) وقد يطلق على انعكاس الضوء من السطوح المصقولة كسطح المرآة والمادن المجلوة والزئبق اسم الانعكاس المنتظم ويطلق انعكاسه من السطوح الغير المصقولة كسطح الورق والماء المضطرب اسم الانعكاس الغير المنتظم أو تفرق الضوء في جميع الجهات . ويتوقف على هذا الأخير رؤية الاجسام كالأشجار والمنازل وغيرها اذا ماسقطت عليها أشعة منبع ضوئي كضوء الشمس اه ولهذا لا ترى الأجسام في الظلام الخالك وعلى ذلك فالعلة التي ذكرها للفرق الآنف ذكره غير صحيح كلها لما ذكرنا ولكن الحكم الذي بناه على وجود فرق بين الحالتين حكم صحيح لانه موافق لاكثر العلة التي ساقها وهذا الاكثر مطابق لما قرأناه في تلك الكتب الحديثة وهو ما عدا المذكور بين القوسين في كلامه ، وإن هنالك فرقا حقا بين الحالتين فترتب على وجوده وجود الفرق في الحكم كما بينه وهذا الفرق هو أن المرئي في المرآة بواسطة انعكاس الأشعة صورة المرئي التقديرية (١) لاعينه وأما المرئي في داخل الماء فهو عين الشخص المرئي لاصورته لكن بعد انكسار الأشعة فيراه بعينه

قال في كتاب الضوء أيضا صفحة (٥٢) — الصور —

نعلم اننا اذا وجهنا نظرننا نحو مصدر ضوء نراه وذلك اسقوط أشعته على العين مباشرة أما اذا نظرنا الى سطح مرآة قد وضع أمامها وعلى بعد منها هذا المصدر بحيث لا يتسنى للعين رؤيته مباشرة فإن الأشعة التي تستقبلها العين بعد انعكاسها من سطح المرآة ترى كأنها صادرة (متفرقة)

(١) وفي كلام السكال ان المرئي فيها هو مثل صورة الشيء

من مصدر يشابه المصدر الأصلي تماما خاف المرأة وقد يطلق على هذا المصدر الأخير اسم « الصورة » ولما كان يخيّل إلينا في هذه الحالة أن الأشعة صادرة من منبع خلف المرأة فهي لذلك تسمى صورة تقديرية الخ اه وأما المراثي في الماء فهو واضح التلميل في الباب الخامس - انكسار الضوء - صفحة ١٠٦ من الكتاب المذكور ، فلا داعي للتطويل

(نموذج لاستخدام نظريات علم الهندسة في الاستنباط المذكور)

قال في الفتح - كتاب الصلاة - استقبال القبلة
وفي الفتاوى الانحراف المفسد أن يجاوز المشارق الى المغرب اه
ومثله في كثير من كتب الحنفية
ومعناه كما قالوا أن تصح صلاة من كان فرضه استقبال جهة الكعبة
إذا استقبل أي جهة إلا في صورة واحدة وهي ما إذا استقبل جهة المغرب
وكانت قبلته جهة المشرق ففي هذه الحالة فقط تكون الصلاة باطلة
وتعابيل ذلك كما في الطحطاوى (حاشية مراقي الفلاح شرح نور
الايضاح) وغيره أن المصلي يعتبر مستقبلا القبلة (فيما لو كان فرضه
استقبال جهتها لاعتينها) إذا كان بحيث لو مد خط عمودي على جبين المصلي
لكان قاطعا لاحد أضلاع الكعبة أو لامتداده وفي كل الصور يكون
مستقبلا القبلة حينئذ الا في الصورة المستثناة لانه في هذه الصورة
لا يكون العمود على جبين المصلي قاطعا لاحد أضلاع الكعبة ولا لامتداده
بحال وفيما عدا هذه الصورة يكون العمود قاطعا الخ

هذا معنى تلك النصوص وهذا تعليلها

ولكننا لو رجعنا الى بعض قوانين الهندسة لوجدنا أن هنالك صورة بجانب تلك الصورة تكون الصلاة فيها باطلة بيقين ولا يكون المصلي فيها مستقبلا القبلة ولا يكون العمود على جبينه قاطعا لأحد اضلاع الكعبة ولا لا متداده بل يكون ذلك العمود على جبينه موازيا لأحد اضلاع الكعبة ولا متداده ولا يتلاقى مع الأخرى ولا شك أن المتوازيين لا يتلاقيان أبدا مهما امتدا (بدھية بلا يغير)

وإذا كان العمود وأحد الاضلاع (أو امتداده) لا يتلاقيان فلا يتقاطعان (بدھية أيضا) فلا يعتبر المصلي حينئذ مستقبلا القبلة ويكون المستثنى من الكلام الآنف صورتان لا صورة واحدة ، وتكون الصلاة فيهما باطلة بيقين على سواء

وتصور ذلك يسهل بتطبيقه على رسم هندسي تقريبي

﴿ البرهان الهندسي والاستدلال الشرعي ﴾

ياحبذا لو أن الفقهاء في استدلالهم نسجوا على منوال البرهان الهندسي وأنه للبرهان المنطقي المفصل (١)

ويأسعاده القاريء لو أنهم تركوا سبيل لف المقدمات وادماجها في قالب مبهم ليسلكوا سبيل انتعمية على الخصم ويضل منه الفؤاد في أنايا القول فلا يكاد يدري من اين يؤتي الدليل ولا يستقيم له استنباط

(١) فالمنطقي يتألف من مقدمتين تنتجان نتيجة والهندسي يشرح المقدمتين بمقدمات

الحق الصريح من بعد ذلك الأثرغاء والازباد
قد كاد يصير الحق صريع التعصب وينتفش الخطأ، وينكمش الصواب
وهناك تظهر على كثير من الأدلة سمي السفسطة يتغشاها القول بأحقاق
الحق وأزهاق الباطل ولو أنصفوا شرع الله وأنصفوا الحق لا ابتغوا الخلاص
من التعصب واطرحوا من التحيز ما أنقض ظهر الصواب، وشرحوا
الدليل شرحا مفصلا حتى يكشف ستاره، ويبين للعين مقداره. فان خلا
من العيب والعقم أخذنا بنصره، وعملنا بمقتضاه، وقلنا ذلكم حكم الله.
وان لم يأسس للحق قياده طويما عنه كشحا وضربنا عنه الذكر صفحا وقلنا
خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه
وخير طرق الاستدلال هو الاستدلال الهندسي وذلك كما يأتي

الفرض	تكبيرة الاحرام في الصلاة
الدعوى	» » شرط وليست بركن (عند الحنفية) (١)
السند (العمل)	قال تعالى (وذكر اسم ربه فصلي) وقال عليه السلام « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم »
البرهان	بما أن الآية تفيد ترتب الصلاة على ذكر اسم الله بالفاء (قاعدة لغوية)

وبما أن في تكبيرة الاحرام ذكر اسم الله
وبما أن الصلاة مترتبة على تكبيرة الاحرام «بالمعطف بالفاء»
وبما أن المعطف يقتضي المغايرة
إذا تكبيرة الاحرام تغاير الصلاة
(قاعدة نحوية)

وبما أن الشرط هو ما كان خارجاً عن الماهية والركن ما كان داخلها
(قاعدة اصولية)

وبما أن الشرط هو ما توقفت عليه صحة الشيء (قاعدة اصولية)

وبما أن الحديث يفيد غلبة الظن الموجبة للعمل به (قاعدة اصولية)

وبما أن ما وجب العمل به توقفت الصحة على عمله

إذا تكبيرة الاحرام شرط وليست بركن من أركان الصلاة وهو المطلوب

فلم ينظر القاريء الى الدليل كيف تجلى والى المقدمات كيف انبنى

بعضها على بعض وقد أخذ بعضها بحجز بعض لا تلوى على شيء حتى تستقر

في الفتواد وتصبح بمفازة من الأبهام ولينقد الناقد كما يشاء

﴿ نموذج لاستخدام نظريات الجغرافيا الطبيعية ﴾

« في فهم الآيات القرآنية على وجهها »

مما ثبت في علم الجغرافيا أن الأرض كانت جزءاً من الشمس ثم انفصلت لأسباب غير معروفة والدليل على ذلك وجود حرارة عظيمة في جوف الأرض تصهر المعادن التي لا تنصهر إلا بحرارة عظمى وتنبعث من باطنها فوارات الماء الحميم مثل ما كان في طوفان نوح عليه السلام (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) (١) فهذا يرشدنا إلى أن الشمس والأرض كانتا جزءاً واحداً وكذلك الحال بين الشمس والنجوم ولذلك يقول الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) (٢)

(١) أي جوف الأرض الحار (كذا في بعض التفسيرات) (٢) والمراد من السموات كما سيأتي طبقات الكواكب المتفاوتة في البعد عن الأرض . وبيننا فوقكم سبعاً شداداً . سبع سموات طباقاً (والرتق ضد الفتق)

أي فصل الله تعالى الأرض عن السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن
سبع سموات

﴿ الأرض مثل الكرة ﴾

قال تعالى (والأرض مددناها) (ألم نجعل الأرض مهاداً) (الذي
جعل لكم الأرض فراشا) ونحو ذلك من الآيات الشريفة ...

لو كانت الأرض مسطحة ما كان لامتنانها تعالى على عباده وقع في
النفوس واطهار للفضل مثل مالو آتت عابهم بأنها مع (كونها كرية الشكل)
صالحة لمعاشكم . ومع كونها محدودة فقد جعلها لكم ذلولا فامشوا في
مناكبها آمنين على ظهريها لا تخافون تلقا ولا اضطرابا . وهما سرتن فان
تجدوا لها آخراً ، فقد مددناها امامكم فلا تترضكن نهايتها ولا نهاية لها

وأما الجسم المسطح فلا يكون موضع امتناز عليهم بأنه ممد لان
هذا شأن السطح ثم إن لكل سطح نهاية وآخر آمن كل جانب فحينما
توغل السائر في ناحية منه وجد آخر فحينقاب على عقبه ويرتد على آثاره قصصا
ثم إن الله يقول (فامشوا في مناكبها) بدون أن يحذرهم من المشي
في أطرافها (إن كانت مسطحة) فهذا دليل يصدع بأن الأرض لا أطراف
لها والأطراف لازم من لازمات المسطح ونفي اللازم وهو الأطراف
يستلزم نفي المذوم والمحالة والمذوم هو السطح

إذا فالأرض كرة وليست بمسطح وهو المطلوب

قد يقال كيف تنتفي الأطراف والله أثبتني في قوله تعالى (أولم يروا
أنا نأتي الأرض نقتطعها من أطرافها أفهم الغالبون)

والجواب أن أُل في الارض للجنس يعني أي ارض سواء أكانت ارض الجزيرة أم ارض أفريقية أم سواهما : أو أُل للمهد الذهني أي الارض المعهودة لهم وهي ارض الجزيرة وهي التي يرونها ويرون نقصها من اطرافها ولهذا قال (أو لم يروا أنا نأتي الارض) الخ : وإنما تنقص الارض من أطرافها اذا كان البحر يأكل من الشواطئ وذلك مشاهد لكل من يرى (ولذلك تبني الشواطئ بالأحجار حتى لا تأكلها البحار) . أي انهم يهددون بالاختار ولولا رحمة الله عليهم لذهب بهم وبارضهم أفهم الغالبون ؟ ويؤيد ذلك قوله تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) والبر مقابل البحر ، وشاطئ البحر بر ومنه (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)

﴿ الارض متحركة ﴾

الارض تدور حول محورها دورتها اليومية وهي التي ينشأ منها الليل والنهار ، ولكننا لا نشعر بحركتها ولا نحس بدورتها بل نحس بسكونها والسبب في ذلك التحرك بهدوء ساكن وجود الرواسي على متنها فكأن الجبال أوتاد اذ تمنع الارض من الحركة السريعة المزعجة ولكنها لا تمنعها من حركتها الهادئة (ولا شك ان الوتد الدابة لا يمنعها من مطلق التحرك ولكن بمنعها من الحركة التي تؤدي الى هرونها واضياعها) ولولم تكن على الارض تلك الرواسي لتحركت بمن عليها حركة نحس بها ونتوى منها لذلك يقول الله تعالى (وألقى في الارض رواسي ان تמיד بكم) فتكون النتيجة ان الارض متحركة وهو المطلوب

الامطار

(انظر الى آراء الفلاسفة الحكماء والمعتزلة. وأهل السنة والأشاعرة (١))

ثم انظر الى كلام الوحي الأمين)

قال العلامة السجاعي في حاشيته على شرح القطر (في علم النحو) عند

تفسيره قول الشاعر الذي يصف السحاب

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجيج خضر لهن نثيج

وهذا مبني على ما قيل من أن السحاب في بعض الأماكن يدنومن

البحر فيمتد منه خراطيم عظيمة تشرب من مائه فيكون لها صوت شديد

مزعج ثم تذهب صاعدة الى الجو فيلطف ذلك الماء ويعذب باذن الله تعالى

في زمن صعودها والى هذا يشير بعضهم حيث يقول معتذراً عن هدية

ارسل بها الى مخدومه

كالبحر يطره السحاب وماله فضل عليه لانه من مائه

قلت (القائل العلامة السجاعي أيضاً) وهذا مذهب الحكماء والمعتزلة

وهو يخالف لمذهب أهل السنة والأشاعرة فقد قال العلامة اللقاني في

شرح جوهرية أن الأحاديث دلت على أن (الى هنا يسبق الى الذهن

انه يريد أن يأتي على قول المعتزلة والحكماء لانه خطأ ويحيى لاهل السنة

بالمعقول الحق معضداً بالمنقول فاذا هو قد زاد الطين بلة وجاء ضغثاً على ابالة

اذ قال (: دلت على أن : السحاب ينشأ من شجرة مشمرة في الجنة والمطر

من بحر تحت العرش : اه سجاعي

(١) الاشاعرة من أهل السنة ولكن هذه الترجمة منقولة وفق ما خطه

وهذه آراء العلماء الفطاحل وهذه نهاية ما وصل اليه أساطين الفلاسفة
بعد طول البحث والتدقيق وسعة الاطلاع . ولعلك ترى ذلك منهم
عجيبا بعيداً ، وستمر بك الآن طائفة من الآيات القرآنية التي أنزلت على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ثم تبصر هل مثل هذا القول
المطابق لما شوهد بالابصار بعد قرون كثيرة يستطيع أن يخبر بأمثاله عربي
أُمي في تلك العصور المسودة من تلقاء نفسه ؟؟؟؟

ومن هذا يستبين لنا أن ما يتداوله العامة اليوم على السنتهم من مثل
هاتيك الخزعيلات إنما مصدره بعض العلماء من أهل السنة أو سواهم ،
اذ يعدلون عن كتاب الله الى حديث ضعيف أو خبر ليس هناك ، ثم
يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، والله ورسوله من مثل
هذا برآء ، بل ما عند الله هو قوله تعالى : —

(والله الذي ارسل الرياح فتنير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا
به الارض بعد موتها كذلك النشور)

فقوله تعالى (تنير سحابا) دليل ينطق بأن المثير للسحب والذي يستحثها
من مكانها هو الرياح وهي التي تحملها ونقلها كقوله تعالى (حتى اذا
أقلت سحابا ثقالا سقناه) الآية

وهذا المرقوم منذ قرون عديدة والناس عنه غافلون هو أحدث
النظريات اليوم وأصحها وأعزها برهاناً وانضرها بيانا
وبهذا ينهار قول الحكماء والمعتزلة وهذوي قول بعض أهل الاثر
والاشاعرة ، وسلم قول الله ورسوله . وصدق الله ورسوله
ان الرياح تثير بخار الماء المنصاع من المحيطات والانهار والبحيرات

والغدران الخ كما، تثير الغبار أحيانا، ولما كان البخار غازاً من الغازات :
(دخاناً) كانت لإثارة الرياح إياه مما يجعله اشتاتاً يذهب مذاهب متفرقة
لا يلوي بعظه على بعض وينفر بعظه من بعض : كما هو طبيعة الغازات
لهذا قال تعالى في آية أخرى (ثم يؤلف بينهم) فيجعل بعظه يجنح الى
بعض ويجمع شمله بقدرته وفضل فيضه ومنته :

وقد عرفنا أن قطرة الماء اذا تبخرت صار حجم بخارها يربو على حجم
القطرة عينها اضعافاً كثيرة - كما ثبت في علم الكيمياء - وعلى ذلك فالسحاب
اذا كان خفيفاً وتكاثف : فامطر كان رذاذاً فلا يحيي موائنا ، ولا يخرج
نباتنا . لهذا امتن الله على عباده بقوله (ثم يجعله ركاماً) اذا امطر عمر
الوديان ، واذا انهمر غمر الغدران (فتري الودق يخرج من خلاله فاذا
أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون) وقد سيقّت آيات
الامطار في القرآن لاجل قياس احياء الموتى الذي لانشاهدهم على ماشهدناه
من احياء الارض بعد موتها حين الغيث (فانظر الى آثار رحمة الله كيف
يحيي الارض بعد موتها ، ان ذلك للحى الموتى وهو على كل شيء قدير)
قد يقال اذا كان المطر هو بخار الماء يتكاثف ويبرد فكيف يلتئم مع
هذا قوله تعالى (أنا صببنا الماء صبا)

والوجه ان هذا اسناد الى الفاعل الظاهر منه الفعل ليبين انه مصدر
كل نعمة ، وان كان لوجودها أسباب امتنتها حكمته . وهذا الاسناد
يضاهي الاسناد في قول من يقول صببت الماء من الكوز فانه لم يصب
الماء ولكن الماء هو الذي انسكب وانما ذلك الشخص هو الذي هيأ له
السبب ومنع المانع فأمال الكوز ومن طبيعة الماء التي فطره الله عليها

أن يأخذ سطحها مستويا - كما في علم الطبيعة - لا ترى فيه عوجا ولا أمثاء ، فإذا أميل السكوز قليلا استوى سطح مائه حتى اذا تطرف بعضه ولم يجد حاجزا سقط على الارض فيقول صببت الماء من اسناد الفعل الى السبب كذلك الآية الشريفة ونحوها

فهو ذج

﴿ لا استخدام نظريات علم الهيئة الحديثة ﴾

في فهم الآيات القرآنية على وجهها

لقد أصبحت دوحة هذا العلم في الشرق ذابلة بعد ان كانت مورقة وارفة الظلال بينما اينعت اغصانها في الغرب وأصبحت دوحات ذوات افنان تملأ فضاء عظيم في سماء العلوم القيمة التي يحسب لها حساب في الحل والترحال

إن علم الهيئة اجدر بعلمائنا أن يتعرفوه ، وبعلمائنا أن يتدبروه وخلق بنا أن نجعله فرعا من فروع التوحيد كما أمرنا الله ورسوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض ??? أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض ???) وحقا إنه السبيل الذي تتمثل فيه عظمة الألوهية وجلال القدرة وهو السبيل الهادي الى التوحيد الخالص . ولهذا كان التفكير في هذا الملكوت الرائع أول شيء بديء به سيدنا ابراهيم عليه السلام حين أراد الله بعثه لعباده اذ يقول الله تعالى وجلت حكمته في سورة الانعام (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قل هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب

الافاين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال — انى لم يهدي ربي لا كون من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برى ، مما تشركون* انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وكذلك يقول الله مميزا الاولى الالباب بالتفكير فى هذا الخلق : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه)

﴿ السموات السبع ﴾

يقول بعض العلماء اليوم ان المشاهدة : بواسطة المراصد الفلكية : قد أثبتت أن هذه القبة المضروبة فوق سطح الكرة الارضية فضاء لم يستطع الانسان أن يدرك له نهاية، بل عاين بالآلات نجوم ما وشموسا وسد ما لاعداد لها، مختلفة فى بروجها متباينة فى حجوماتها، وهنالك مذنبات ذات اذيل ضافية ، وانالك مترامية ، وهنالك كواكب أعظم حجما من الشمس حتى لا تكاد هذه الشمس تذكر بجانبها (١) وهنالك نجوم تتم دورتها كل مائة سنة ، ومنها ما يتم دورته كل ألف سنة ومنها ما يتمها كل مائة وألف سنة ، ومنها ما يتمها كل ثلاثة الاف سنة ومنها ما يتمها كل مائة ألف (٢) سنة

(١) أثبت العلماء ان هنالك كوكبا عظيما رابضا فى برج بعيد يجذب اليه المجموعة الشمسية

(٢) يشير الى شيء من هذا قوله تعالى : تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

وقد عرف العلماء ذلك بواسطة حساب المثلثات الكرية (١)

ويقول العلماء انما يتخلل هذا الفضاء بين تلك الكواكب شي خاص
(يلاً هذا الفضاء ويتخلل جزئيات الاجسام عظيم المرونة يختلف عن
كل مانعلمه من أنواع المادة) يسمى - الاثير -

غير انه جاء في بعض روايات ضعيفة : لحديث المعراج : ما يدل على
أن السموات السبع بعضها من حديد وبعضها من نحاس وبعضها من فضة
وبعضها من ذهب . الى غير ذلك مما لم يثبتته عقل ، ولا نقل صحيح .
بل العقل يبطله ، والنقل الصحيح لم يتعرض له ، اذ لو كانت السماء الاولى
والثانية والثالثة من حديد ونحاس وفضة والشمس في السماء الرابعة (كما
جاء في نفس هذه الروايات) ما وصلت اليها أشعة الشمس الوهاجة بل
لحجبت هذه الطبقات الكثيفة رؤية ما وراء الشمس من الكواكب البعيدة
جدا كالكوكب الذي يتم دورته في فلكه كل مائة ألف سنة مرة وقد
رؤي بالمجهر العظيم بالرغم من هذه الاضاليل الخزية وإذ الدين يرى منها
براءة الذئب من دم ابن يعقوب

لاغلو ان قلنا ان آراء علماء الهيئة اليوم قد فصلت لنا ماكان مجحلا
في الكتاب العزيز من آيات الارض والسموات والذي نستخلصه من كتاب
الله ويعززه كلام علماء الهيئة توضيحاً وتفصيلاً مما يختص بالسموات
والارض هو ماآتي

السموات والارض كائنا شيئاً واحداً ففتمهما يد القدرة الالهية

(١) كما جاء في العدد - ١٤١٣٦ من جريدة الاهرام تحت عنوان رد

على سؤال فلسفي

فانقصات الارض عن السماء وبقيت الارض مباركا فيها مقدرة لها اقواتها وهي غير منظمة (كما يفهم من تفسير جار الله الزمخشري) ثم إن الله استوى الى السماء وهي دخان فسواها سبعا وأغطش ليلاها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها : ونظمها . أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها وبهذا اندفع التعارض الذي كان يفهم لأول وهلة بين آية فصلت (١) التي تفيد أن الله استوى الى السماء بعد خلق الارض وبين آية والنازعات (٢) التي تفيد أن الله خلق السماء قبل الارض ومعنى تسوية السماء كما قل تعالى (رفع سمكها فسواها) انه جعلها مثل السقف (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) لا ترى فيها فرجة شأن السقف (وزيناها ومالها من فروج) ولا ترى فيها شقوق (فارجم البصر هل ترى من فطور) وكل ذلك تمثيل للناظرين ، وتقريب للفاهمين ، والله تعالى شبه السماء بالسقف وله المثل الاعلى والشاعر يشبهها بالبساط

وكان أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق
ولا غبار على شيء من ذلك وتشبيه السماء بالسقف من باب التشبيه
البليغ مثل: زيد أسد. وعلى ذلك فالسموات السبع الطباق هي النجوم في

(١) هي (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجمعون له انداد ذلك رب العالمين* رجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين* ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انثيا طرعا او كرها قلنا أتينا طائعين)

(٢) أنا أنتم اشد خلقا أم السماء؟ بناها* رفع سمكها فسواها* وأغطش ليلاها وأخرج ضحاها* والارض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها)

بروجها والله جعلها طبقات بعضها فوق بعض ولا يعلم الفاصل بين كل طبقتين منها الا الله ولم يرد نص قاطع عن صاحب الشرع في ذلك ولم يتوصل علماء الهيئة لذلك الى الآن ولكن في كلامهم ما يشف عنه ومن العسير جدا : ان لم يكن محالا : أن تدرك حدود غير محسنة في فضاء عميق سمحيق لمن كان في مركز لتلك الطبقات (فان الارض كمركز مشترك لمحيطات الطبقات الدائرية)

لذلك يقول الله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) والله اعلم بمحدود كل طبقة وهو الذي يعلم عدد نجوم كل طبقة فانه تعالى أحصى كل شيء عددا .

ثم ان الله يقول : (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) (١) وبنائها رصفها واحكام ترتيبها كالبنيان المرصص . وكونها شدادا أي ليست رخاء حتى يختلط نظام الكواكب ويختل توازنها فتنزل عن أفلاكها وتخرج عن طبقتها كبقوله (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) الآية اذ بنيان البيت لا يوصف بالشدة الا اذا كان كل حجر في مستقره ، وكل جدار قائم فوق أساسه ، ولو وقعت الحوائط بعضها على بعض لكان البناء واهيا غير شديد . ويشير الى هذا قوله تعالى (ويمسك السماء ان تقع على الارض) الآية

(١) والدليل على انها نجوم بينها فضاء قوله تعالى (انظر واماذ في السموات) والنظر بالعين . والسموات : بلفظ الجمع يشمل السبع الطباق ولا تنظر ماهو مظهر وفيها كلها الا اذا كانت توافق طبيعة اعيننا وذلك بعدم الحائل بيننا وبين النجوم

{ الجذب العام بين الارض والسّموات العلّا }

ان الذي كشف الغمة عن هذه النظرية هو العالم الانجائزي اسحاق نيوتن من علماء القرن الثامن عشر وستمر بك ضمن الكلام الآتي
{ متى الساعة ؟ وكيف تكون ؟ }

ومما يفهم من تلك النظرية ان الكواكب كلها خاضعة لنظام الجاذبية وعليها يتوقف سير الكواكب في أفلاكها سيراً محكما ولو اختلف نظام الجذب شيئا قليلا بين كوكبين لوقع أصغرهما على أكبرهما حجبا فيصرع أحدهما الآخر ويمحطمه أي تحطيم . وكذلك يقال بين الارض وما حولها من الاجرام السماوية الفارية . وكثيرا ما تهددت الارض بنجوم أو شكت أن تصدمها صدمة يخلل لها نظام التوازن بين السموات والارض ، فتبدل الارض غير الارض والسموات ، ويصعق من فيهن الامن شاء الله ، وتتشق الكواكب بعضها على بعض (اذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت ، وألفت ما فيها وتخلت) وقد بنحى بعض علماء الفلك والهيئة نفسه حين توقع شيئا من ذلك الصراع بين الارض والسموات فراراً من هول تلك الواقعة التي إذا وقعت (ليس لوقعها كاذبة خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بساء فسكانت هباءً منبثا) الآية . وما عهدنا من سنة ١٩١٠ بمعيد حين ظهر النجم الهائل « مذنب هالي » وأن الذّاكرة لتوافينا بالخوف الذي استولى على بعض العلماء يومئذ حين رأوه قريبا منهم وظنوا انه واقع بهم ، ولكن الله سلم ولن تقم السماء على الارض الا بأمره فهو الذي يقول (ويمسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه)

وقال في آية أخرى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده)

فاذا أذن الله بذلك كان هول الساعة (ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ولهذا فر بعض العلماء من هوله الى الموت ولو أنصفوا أنفسهم لفروا الى الله (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض ، لا تأتيكم الا بغتة) ويشير الى نظرية الجذب العام الآتية قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) فقوله بنير عمد ترونها يقتضي نفي العمدة المقيدة بقيدرؤيتنا اياها ، وعلى ذلك فلا يقتضي نفي العمدة التي ليست بمرئية لنا وهي (كالقوة المغناطيسية) التي يعبر بها عن الجذب بين الكواكب وكما ان العمدة المحسوسة تمنع وقوع ما عليها على الارض كذلك قوة الجذب تمنع من وقوع السماء على الارض فكانت عمدا .

ومعنى وقوع السماء على الارض جذب الارض اياها لأن وقوع الحجر (مثلا) على الارض انما هو أثر جذبها اياه فلهذا استقام التعبير عن جذب الارض السماء بوقوع السماء عليها

ثم إن قوله تعالى (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) دليل على أن السموات والارض في فضاء عظيم يحيط بهما (وهو ما قدمنا بيانه) وأن لكل فلكا تسبح فيه بنظامها الذي أمسكها الله عليه فلن يزول شيء من السموات والارض عن فلكه الذي رسمه الله له ولو زال عن دائرة فلكه نجم أو شمس أو الارض باختلال الجذب لانفلت كما ينفلت الحجر من المقلاع

فلا يلوى على شيء، ولا يستطيع أن يردّه ويمسكه بعد زواله عن فلكه إلا الله وحده (ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده) جلت قدرته وتعالى حكمته

﴿ ما حوزة ذات بال ﴾

لسنا في حاجة شديدة الى بيان قصور قول بعض العلماء المسلمين : وهو أن السموات السبع التي ورد ذكرها في القرآن هي : المشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد الخ المجموعة الشمسية . . . وذلك لان السماء هي : ماء لأك فأظلك : ولا شك أن نجم المشتري أو المريخ الخ عال فوق الارض حقاً ولكنه لا يظلم أبداً وكيف يستقيم عفاً أن كوكبا بلغ به البعد عن الارض حتى أصبح يرى قدر الدينار (والجنيه) يُظال الارض حتى يقال انه سماء لها ؟ ثم ما حكمة تخصيص نجم هو مختلط مع النجوم التي لا اعداد لها بأنه سماء ولا ميزة له إلا انه من المجموعة الشمسية . ولو لمسنا كبد الصواب لتبين لنا مصرع هذا القول أمام الواقع الذي شرحه كتاب الله إذ يقتضى هذا القول أن تكون الشمس اعظم شأناً من السموات التي هي النجوم السبعة لانها توابع للشمس ولا مزية في أن الحقيقة الثابتة هي كذلك . . . ولكن ما جاء في الكتاب العزيز ينطق بأن السموات التي أراها اعظم من الشمس بمراحل بل النسبة بينهما كالنسبة بين منزل ذي طبقات سبع وبين سراج موقد فيه ، هو وهاج الضوء ، اذ يقول الله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً جعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) (١) وقال (وبينا نؤمكم سبعاً شداً ، وجعلنا سراجاً

(١) والظرف محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه لانه يفتقر في الثواني ما لا يفتقر في الاول . والتقدير فيهن لانه صرح به في آية الفرقان (وجعل فيها سراجاً)

وهاجا) وقال (البارك الذي جعل في السماء بر وجا وجعل فيها سراجا وقرآنا) وعلى ذلك يكون الصواب مقدّمنا برهانه من أن السموات الطباق هي النجوم بأسرها مقسمة في نظامها الى سبع طبقات فالسمااء الدنيا هي أقرب الطبقات الى الارض ويطلق عليها اسماء اطلاقا سيما باعتبار أن الطبقة تعلو الارض وتظلم أي اظلال اذ تُرى في تضام نجومها وتضافها كالقبة المضروبة على سطح الارض وعند نهاية الافق يلتقى طنبها بالارض في رأي العين ثم لو سلمنا صحة القول الاول وفرضنا أن السماء الدنيا هي نجم المشتري مثلا فكيف يستقيم لنا ذلك مع قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) اذ تكون النتيجة وزينا النجوم بنجوم وهل يعقل أن هذا هو المراد من هذه الآية الشريفة مع أن في هذه النجوم ما هو اعظم شأنها فكيف يكون زينة لما هو أقل منه حجما وقدرًا . وأما على الرأي الثاني فالمراد من الآية ظاهر ويحمل على التشبيه أي السماء التي هي النجوم مزينة بمصابيح أي شمس لانه تدلى اطاق على الشمس المعهودة اسم سراج والسراج والمصباح واحد وتثبت العلماء أن هنالك شمس سالعا لنداد لها فتكون في أول طبقة وتكون الطبقة الثانية وراء ذلك ثم تكون باقي الطبقات في هذا الفضاء العميق الذي لا تدرك عقول البشر له آخرًا وبمثل هذا تكون عظمة الخلق وجلال الخالق

قد يقال إن مقتضى كون الشمس سراجا وهاجا في السموات أن تستنير بها جميع الطبقات السماوية حتى الطبقة السابعة وهي مما لم تتصور عقولنا مقدار بعدها عنا وهذا قادح في الرأي الثاني والجواب انه لا يلزم من كون الشمس سراجا وهاجا موضوعا في السموات أن تستنير به

جميعها فان الآية لم تصرح باكثر من قوله تعالى (وجعلنا سراجاوهاجا) بل مثل ذلك كمثل من قال - والله المثل الاعلى-: بنيت منزلا يناطح السحاب من يلور صاف وجعلته سبع طبقات وجعلت فيه سراجاوهاجا فان هذا صادق بوضع هذا السراج في الطبقة الاولى سواء استقنارت به الطبقات العليا أم لا، كذلك الشمس والسموات . ثم ان الحكمة تقضي بأن من يستفيد من ضوء الشمس هو الذي جعل السراج لاجله وذلك هو الارض وما ضاهاها مثل المريح . فأما باقي الطبقات فهي نجوم لامعة واجسام نارية فلا تستفيد من السراج شيئا وهذا لا يمنح من وجود السراج فيما بينها ليفيد من يستفيد دونها

﴿ الشمس والقمر ونظرية الطيف ﴾

قال الله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) يقول علماء الغرب قد ثبت بواسطة تحليل الضوء أن ضياء الشمس سبعة اضواء مختلفة وإنما الذي يمزجها بعضها ببعض ويجعلها لونا واحداً في رأي العين هو سرعة حركة الشمس الرحوية وثبت ذلك بالمشاهدة بواسطة منشور خاص من البلور كما تقرر في علم الطبيعة فصار هذا امراً لا ريب فيه ولا شك أن هذا يفهم من الآية الشريفة فان ضياء على وزن فعال من جموع التكسير ، وحينئذ ففردده ضوء على وزن فعل فيكون جمعه ضياء بوزن كتاب ونظيره ثوب وثياب وجدي وجداء . وقد جاء ذلك في بعض كتب التفسير (النيسابوري أو أبي السعود) ومما يعزز ذلك انه تعالى قال في جانب الشمس ضياء وفي جانب القمر نوراً بالافراد لان الواقع كذلك

﴿ مغرب الشمس ومطلعها ﴾

قال الله تعالى (حتى اذا بلغ - أي ذو القرنين - مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة)

لا ريب أن اقصى الارض من جهة المغرب كان في زمن ذى القرنين
لا يتجاوز حدود مراكش وما حاذها من البلاد الاوروبية الواقعة على
المحيط الاطلسي وهو المحيط الذي لا يرى له آخر من كان على تلك
الشواطئ . فاذا غربت الشمس امام الرائي حينئذ يخيل اليه انها تغرب
في عين حمئة وسط هذا الغطاء اللجب

ويقول الذين رأوا مغرب الشمس من جبل طارق إن قرص الشمس
حين ينجح للغيب عن الرائي يرسم هالة مثل هالة القمر أو مثل قوس
قزح - ولكنها اعظم قدرا من ذلك - بواسطة انعكاس أشعة الشمس على
الماء، ثم ان المحيط الاطلسي مشهور ببحرته الكثيفة حتى انها تجعل جوهه
مظلما احيانا ومن أجل ذلك سمي بحر الظلام أو الظلمات فاذا ظهر منظر
الشمس حينئذ وهي في وسط تلك الهالة الضوئية من خلال البخار
المتصاعد فان الهالة تكون مثل حافة البئر لما اعتراها من دكنة البخار الذي
تغشاها، قال الشاعر مشيرا لما في الآية

ان انغماسك في التيار حقه أن الشمس تغرب في عين من الماء
ولكن ذلك انما هو بحسب النظر وفي رأي العين وان كان الواقع
أن لا عين ولا بئر للغروب . وهذا هو قول الله (وجدها تغرب) الخ
أي ان ذلك بحسب ما وجدته ذو القرنين وما وقع في نفسه حين شاهد

ذلك المنظر فعينه هي التي افهمته ذلك وما كان نبيا حتى يوحى اليه - كما قال في متن بدء الامالي: توحيد.

وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدال
فالله تعالى يقص علينا الحال التي وقعت في نفس ذي القرنين حين
بلغ أقصى المغارب وفتتد ولذلك لما بلغ مطلع الشمس لم يجد شيئا من ذلك
لانه لم يبالغ المحيط الهادى بل وصل الى حدود الصين من جهة بلاد الهند
وذلك لان امة الصين يومئذ لم تكن تفهم لغتها لصعوبة تراكيبها فان في
كلماتها كلمات تتركب من خمسة واربعين حرفا (في الكلمة الواحدة)
وايضا فهناك اراض واسمة جدا وقومها لا يحبون الاجبي حتى كانوا اذا
ظفروا بسائح قتلوه ولذلك بقيت فيها اراض لم يستكشفها السائحون للآن
وهذا مما يدلنا على انه لم يكن من السهل على ذي القرنين اقتحامها بل كان
أقصى بلاد المشرق المألوفة في العصور القديمة هي حدود بلاد الصين من جهة
الهند واهلها هم الذين قال الله فيهم (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلم على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) ثم لما توغل في السير حتى بلغ
حدود الصين عند الطريق المؤدي للصين وهو الذي كانت الصين تزحف
منه على الهند فتعيث فيها فسادا وهو ما بين السدين (١) (وجد من دونها
قوما لا يكادون يفقهون (٢) قولاً)

(١) السد بالفتح الجبل كما في الصحاح وغيره (٢) فرىء بضم ياء يفقهون
وفتحها أي لعدم تعرفهم اللغات بنفوسهم او لصعوبة لغتهم

وهذا هو الذي أخذته من الآراء المعززة لعلماء التاريخ والجغرافيا (١) وهو واضح في سورتي الكهف والأنبياء بالنسبة ليأجوج ومأجوج : وفي كتب التفسير ان القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً لم الترك

مؤخر

❖ لاستخدام نظريات علم الفلك ❖

❖ في فهم الآيات القرآنية على وجهها ❖

❖ وشيء من علم الهيئة أيضاً (٢) ❖

قال الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم • والقمر قدرناه منازل) الآية

(١) ولذلك يقول بعض الاسانذة المؤرخين لآمانم ان يكون المراد من يأجوج ومأجوج هم أهل الصين واليابان اذا اتحدوا وتقدموا في الحضارة فانهم يكتسحون العالم بأسره وذلك هو الذي يطلق عليه بعض علماء الجغرافية اسم : الخطر الأصفر : وفي القرآن دليل عليه وهو قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) وهم أهل الغرب قائلين (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) وآمانم منه حيث ان جميع بقاع الارض قد استكشفتم ولم يكن هنالك أمر غريب (وقد جاء في الحديث « ان يأجوج ومأجوج آية من آيات الساعة » ولا يشك ان تغلب الشرق على الغرب من اشراطها . وبعض المؤرخين يقول ذو القرنين هو اسکندر المقدوني وفي كتب التفسير ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا اه ويأجوج ومأجوج كلمتان أعجميتان ربما كانتا شبيهتين بكلام الهند والصين ..

(٢) مما وعيته عن الاستاذ الشيخ حسن منصور بتصرف

تجد الشمس تستمر طول السنة في قطع محيط دائرة (وهذا على القول بأن الشمس غير ثابتة بل ذات دورة سنوية) وهذا المحيط هو المسمى فلكا فانفلك هو الخط الدائر الذي ترسمه الشمس طول السنة وهو مأخوذ من فلكمة المغزل . وكذلك للقمر في سيره فلك إلا أن الشمس تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر واحد ، فذلك اوسع من هذا وكل من الشمس والقمر وما يتبعهما من النجوم التوابع في فلك يسبحون أي يسرون بسرعة شديدة فكل يشبه فرسا سبوحا شديد العدو . ثم ان فلك الشمس مقسم الى اثني عشر جزءا تقطع كل جزء في شهر وفي أثناء سيرها حين تقطع الجزء الاول من الاثني عشر جزءا تكون الشمس موازية لكواكب مخصوصة أي انها تسامت الكواكب التي فوقها في الشهر الاول وهذه المجموعة من الكواكب التي تسامتها الشمس وهي في جزء من هذه الاجزاء تسمى برجا فاذا تم الشهر تكون الشمس قد انتهت من ذلك البرج المسمى برج العقرب مثلا وانتقلت الى البرج الثاني وهكذا تنهي من كل برج من الاثني عشر برجا في مدة شهر . فالبرج هو مجموعة كواكب خاصة يطلق عليه اسم الحمل أو الدلو أو الميزان الخ تسامت الشمس أثناء سيرها في شهر واحد) ولذلك يقول الله (والسماء ذات البروج) (تبارك الذي جعل في السماء بروجا)

ثم ان القمر يقطع فلكه في ثلاثين أو تسع وعشرين ليلة كل ليلة يقطع جزءا منه ويسامت كواكب في كل ليلة غير التي يسامتها في ليلة اخرى من الشهر . فالقمر مثل الشمس إلا أن الليلة بالنسبة للقمر بمثابة الشهر بالنسبة للشمس والمجموعة من الكواكب التي تسامت القمر في ليلة واحدة

تسمى منزلة والجمع منازل ولذلك يقول الله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) (والقمر قدرناه منازل) فتلك بروج الشمس وهذه منازل القمر . . . لكن ماذلك المستقر في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) ؟ ؟

والجواب اننا اذا قابلنا آية الشمس وهي (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) بآية القمر وهي (والقمر قدرناه منازل) نجد أن قوله منازل في القمر تقابل قوله (لمستقر لها) في الشمس والدليل على ذلك (١) تلك المقابلة (٢) انه بمعرض ذكر حركة كل من الشمس والقمر لقوله (وكل في فلك يسبحون) (٣) ذكر التقدير في آية الشمس بقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) كما قال في القمر (قدرناه منازل) أي ان المستقر مقدر للشمس بتقرير العزيز العليم كما أن المنازل مقدر للقمر أيضا وعلى ذلك يكون مستقر الشمس هو برجها

قد يقال ان المستقر اسم مكان من استقر والبرج هو طائفة من السكواكب العالية جدا المسامطة للشمس فكيف تكون مستقراً للشمس ؟ ؟ والجواب ان ذلك مكان اعتباري أو على حسب النظر . ولما كان فلك الشمس أكبر من فلك القمر كانت المسافة التي تقطعها الشمس عظيمة جداً نحتاج في قطعها الى سرعة ولذلك عبر في جانب الشمس بلفظ تجري ليشير الى ان تلك المسافة الطويلة جدا فرض الله لها مدة تجري فيها الشمس جريا حتى تتمكن من اتمامها في موعدها

وقوله مستقر اللام للانتهاء فكان المناسب ان يعبر بالي لكنه عبر باللام المشعرة بالتعليل والفرض ليفهم حال الشمس في جريها أي كأنها

غرضها وحاجة تجري لتحصيلها وإدراك غرضها قبل فوات الفرصة فإذا أدركتها انتهت اليها ثم انتقلت لغيرها كذلك . وتقدير الكلام تجري في فلكها مستقرها أي موازية لبروجها لا تعدو برجا حتى يتم الوقت الذي فرضه الله لها بجريها في فلكها بسرعة لا جبر أن توازي برجا من تلك البروج قد يقال . إذا كانت الشمس تجري فلم عبر بالمستقر في جانبها مع أن المستقر يدل على الاستقرار وهو المكث والسكون ؟

والجواب أننا ذكرنا في قاعة الكلام أن الشمس تقطع البرج في شهر فالمدة التي تمكثها الشمس في البرج شهر فكأن الشمس مستقرة في البرج مدة الشهر فصار البرج مكانا ومستقرا للشمس ، ومثال ذلك قول القائل : لبثت شهرا أمشي في الصحراء . كذلك الشمس لطول مكثها في البرج سمي مستقرآ لها . وأما القمر فهو يشبه المسافر الذي ينزل في كل ليلة منزلة ، فما أحكم التعبير في جانب القمر بالمنزلة (١) وفي جانب الشمس بالمستقر ويؤيد ذلك ما تقرر من أن فلك الشمس أكبر من فلك القمر بما يزيد على اثنتي عشرة مرة و برج الشمس أكبر من منزلة القمر بما يزيد على ثلاثين مرة فما أشبه البرج بالمستقر وما أشبه القمر بالمسافر

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى (تجري لمستقر لها) هذا إشارة إلى دوران الشمس حول محورها وهي الحركة الرحوية والمستقر هو محور الشمس وهذا بناء على القول بأن الشمس ثابتة في مكانها وإنما تدور حول نفسها (محورها) اهـ النقل . ولكن الظاهر المتبادر من الآيات التي وردت في الشمس أن

(١) ويروي القمر كل ليلة في منزلته إلا الليلة التاسعة والعشرين واليلة الثلاثين فلا يرى وذلك وقت الاستسرار أو السرار الذي يستمر فيه القمر

المستقر هو يوم القيامة الذي يستقر فيه كل متحرك وأما انجزم بأن معنى قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) يساوي قوله تعالى (وسنخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) فيكون قوله (تجري لمستقر) مساويا لقوله (تجري لأجل) وكل من اللام في قوله (المستقر) واللام في قوله (لأجل) للانتهاء أى تجرى الى مستقر . وتجرى الى أجل مسمى . فاذا جاء الاجل استقرت في مستقرها . وبذلك التفسير نخرج من مأزق التكلف الى ميدان السلاسة في فهم الكلام العربي المبين

﴿ السؤال عن الهلال ؛ وجواب الوحي عن السؤال ﴾

سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتليء ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس ؟ (١) فبزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي موافيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) قد يخيل الينا لاول وهلة ان هذا الجواب لم يطابق ذلك السؤال فان السؤال يكاد يكون عن الفرق بين القمر والشمس في رأي العين فكان الجواب : موافيت للناس والحج :

غير أن المتأمل في غضون الآية الشريفة يجد الجواب المحكم وبيان ذلك كما يأتي

(١) قال الشاعر في تمثيل المرء بالهلال

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق
يزداد حتى ادامتم اعقبه كر الجديد ن قصا ثم ينهق

ان الامور الدنيوية قسمان (١) ماله ارتباط بالتشريع (٢) مالا علاقة له بالتشريع البتة . فالاول مثل البيع والشراء وسائر المعاملات وهذا القسم تؤخذ أحكامه عن صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام إن ورد عنه نص صحيح يوجب العمل بمقتضاه ، والقسم الثاني مثل أسباب هبوب الرياح وتزول المطر وطلوع الشمس ثم غروبها ومنازل القمر وغو الهلال حتى يتكامل ثم نقصانه حتى ينمحي ونحو ذلك من حوادث الرعد والبرق وما هو كائن في السموات والارض وهذا انما يعرف بالنظر والبحث الدقيق : اللذين أمرنا بهما : في الارض والسماء . ولهذا امكن الانسان أن يقف على سر ذلك وكان ما استنبطه باجتهاده مدونا في كتب شتى . وهذا القسم لا يسأل عنه الرسول المشرع لان الرسول بعث مبينا للناس الامور التي يحتاجون اليها في معاشهم ومعادهم ولم يبعث فلكيا ولا طبيبا ولا زارعا ولا حدادا الخ . فكما لا ينبغي أن يسأل عن الزرع وما يتعلق بها كذلك لا ينبغي أن يسأل عن علم الفلك وما يتعلق به ، وكما لا يشينه عدم الجواب عن سؤال يتعلق بالزرع كذلك لا ينض من مقامه الا يجعل الجواب نجاة قلب السؤال الخارج عن دائرة التبليغ ويؤيد ذلك ما روي في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على قوم يؤثرون النخل (١) فقال لهم « تركوه ولا تؤثروه » فأشاص (٢) النخل فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : « اتم اعلم باصر دنياكم » ومثل ذلك ما ورد في غزوة بدر أن النبي أمر بانزال الجيش في مكان

(١) تأبير النخل تلقيحه وأبر نخله لقيحه واصلحه (الصباح وغيره)

(٢) أشاصت النخلة لم تناقح أو صامت وصبغت « انقاموس »

فقال له عمر رضي الله عنه أهو منزل انزالكم الله أم الرأي والمكيدة والحرب
فقال النبي صلوات الله عليه « بل الرأي والمكيدة » والحرب فقال اذن نزل
عند الماء فكان ذلك

غير أن الوحي قد يتعرض لبسط القول في امر من امور القسم الثاني
ويكون ذلك من باب ضرب الامثال أو من باب التمهيد لامر يتعلق
بالتبليغ عن أحوال الآخرة ونحوها وذلك كأن يشرح الله تكوين الامطار
ونزولها على الارض الموات فتحيا حياة طيبة ثم يتبع الى ذلك بقوله
(ان الذي احياها لحى الموتى) أو يقول (كذلك النشور) ومثل أن
يجعل حياة الانسان وموته وبعثه سلسلة واحدة متكافئة حلقاتها في سهولة
الحصول مع أن المقصود بالذات هو حلقة البعث والنشور كقوله تعالى
(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
- الى قوله - ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وهذا
بمثابة الشرح لقوله تعالى (وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده) وقوله (فانظروا
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة)

من اجل ذلك نرى أن النبي اذا سئل عن شيء من القسم الثاني فقد
يجيب عنه من جهة يكون لها مساس بالتشريع الذي أمر بتبليغه كقوله
تعالى (يسألونك عن الحمر والميسر ، قل فيها اثم كبير ومنافع للناس ،
واثمهما اكبر من نفعهما) فانظر كيف تعرض لبيان الاثم ورجحه على نفع
التعامل بهما ولم يتعرض لبيان الاضرار الصحية ونحوها وان كان ذلك
يؤخذ من الاجابة عن جنب لانه تابع لذلك البيان
وكذلك قوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي موافيت للناس

والحج) ومثل ذلك كمثل من يسأل الطبيب عن شجرة السدر فانه يجيب عنها من جهة مساسها بالطب والدواء واذا سئل النجار عنها فانه يجيب عنها من جهة ارتباطها بالنجارة ، واذا سئل الواعظ عنها فانه يجيب جوابا يتعلق بجلال خلق الله وتمام قدرته وهكذا

وعلى ذلك يكون من الشطط ان يسأل الرسول عن الهلال من جهة لا علاقة لها الا بعلمي الفلك والهيئة ولو فرضنا ان الرسول شرح منازل القمر شرحا فلكيا لقوم لم يعرفوا شيئا من علم الفلك لتعذر عليهم فهم ذلك ان لم يبادروا الى الانكار والشك في ذلك الكلام الغريب الذي لم يتعودوا سماعه . وحينئذ فالواجب على السائلين ان يتعلموا قبل سؤالهم هذا ما يؤهلهم الى فهم الجواب عنه فكان عليهم ان يتدرجوا في تعلم العلوم حتى يسهل عليهم معرفة ذلك كقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ولهذا نجد ان الله تعالى اورد في ذلك الجواب عن السؤال عن الالهة بقوله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) ولا شك ان ذلك مثل قول الاستاذ الحكيم لتلميذ اشتط في السؤال عن شيء يتوقف فهمه على فهم مقدمات ونظريات لما تعلمها التلميذ : ليس من المعقول ان ترقى الى سقوف المنزل من غير ان تتدرج في التصعد على السلم درجة فدرجة ، كذلك ليس من الحكمة ان يؤتى المنزل من ظهره ، بل من بابه ، وكذلك لا يسأل عن الالهة من أول وهلة ، بل على السائل عن ذلك أن يصل الى فهم ذلك من سبيل التعلم فهذا كدخول البيوت من أبوابها واذا سلكوا سبيل التعلم فانهم يصبحون في غنية عن ان يعتسفوا الجادة بسؤال الرسول عما يمكن الوقوف

على سره من غير وحي ليتفرغ الرسول الى ما بعث لأجله وهو الذي ينبغي ان يسأل عنه الرسول ولهذا يقول الله لرسوله (انما أنت نذير) بالقصر الاضافي ومع ذلك كله فان في الجواب ما يشعر بالمطابقة في الجملة من جهة علم الفلك لان معنى قوله تعالى (قل هي موافيت للناس والحج) ان القمر يسير بأحكام نظام سيرا دقيقا حتى انكم تتخذونه موافيت فيما بينكم بالأيام حين ينزل كل ليلة منزلة من منازلها التي قدرها الله له ، وبه تعرفون مواعيد الحج في كل عام فكأنه ساعة دقاقة نعلم بها الموافيت كل يوم وكل عام ، وذلك لانه في نهاية الاحكام وكذلك يسير الله الشدس على ذلك النظام الحكم وكذلك سائر الكواكب ، وهذا دلالة على ان الكواكب على اختلاف طبقاتها وتفاوت حجوماتها خاضعة بأسرها لذلك المنظم المبدع والمهندس الاعظم ، وذلكم الله رب العالمين . وعلى ذلك يكون قوله تعالى (موافيت للناس والحج) وكذلك قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وكذلك قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبينوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) مراداً به لازم ذلك وهو السير بنظام هو غاية في الاحكام وليس مجرد اخبار بأن الالهة موافيت للناس والحج أو بأن تعلم بالشمس والقمر عدد السنين والحساب لان هنالك وسائل اخرى نستطيع أن نعلم بها عدد السنين والحساب والموافيت . على أن كل السائلين كانوا يعرفون أن القمر في منازل المختلفة يتخذ موافيت فالأخبار بهذا غير مفيد فيكون المراد حينئذ — كما بينا — الاخبار بالازم اتخذ موافيت وذلك احكام السير وما احكم هذا الخبر

وما ابلغ هذا الجواب عن ذلك السؤال (١)

مفوضج

﴿ لا تستخدم نظريات علم النبات وعلم الحيوان ﴾

(في فهم الآيات القرآنية على وجهها)

قال الله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)
قال علماء النبات ان في كل نوع من انواع النبات زوجين مذكراً
ومؤنثاً سواء منها النجم والشجر ، والاثل وذات النمر قال تعالى (ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين)

غير أن هنالك ما يظهر مذكروه من مؤنثه وكل منها قائم على سافه
كالنخل والباط (شجر افرنكي من الفواكه) وهنالك ما يستبين مذكروه
من مؤنثه وكلاهما على ساق واحدة كالاذرة والقمح وهنالك ما لا يستبين
مذكروه من مؤنثه إلا لعلماء النبات الذين مارسوا النبات وعرفوا ماظهر
منه وما بطن بواسطة الالات الخاصة بهذا العالم النباتي وذلك مثل
البرتقال والورد (وأما قلنا ان الاذرة مما يستبين مذكروه من مؤنثه لانه
مما يظهر للعين العارضة جلياً حين يشرح النباتي لنا ذلك من غير استعانة
بالالات اخرى) ثم ان التلقيح تارة يكون بواسطة الرياح اللواقع وتارة
يكون بواسطة الحيوان انساناً أو بهيمة تنتقل من شجرة الى شجرة أو

(١) ويؤيد ما اسلفنا من القول قوله تعالى بعد ذكر الشمس وتقرير منازل
القمر : (يفصل الآيات لقوم يعلمون) أي وآما الذين لا يعلمون فانه يحملها
لهم وكذلك كان الحال في الجواب عن سؤال الالهة

طائر آيهوي من غصن الى غصن وحينئذ فلا شك أن كل انواع النبات لا تخرج عن عموم قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وكذلك يقول علماء الحيوان انه من المستحيل ان يوجد شيء من انواع الحيوان مهما بلغ من الصغر « بطبيعته » كما يقول الله تعالى (أم خلقوا من غير شيء ؟) بل لابد من مذكر ومؤنث ليولد لهما وليد من نوعهما حتى الدعاميص « الميكروبات » التي لا تراها الا بمجهر عظيم . وهذا مما دخل في دائرة المشاهد بالعين ، وقد ثبت بالمجهر العظيم « الميكروسكوب » ان لكل الميكروبات اهتزازات تنبئ عن حياتها وانها من فصيلة الحيوان وليست من فصيلة النبات كما يزعم بعض العلماء وانها تتناسل بكثرة فاحشة وتنمو عموماً حثيثاً الا انها مختلفة اختلافاً كثيراً من جهة طرق التوالد التي يختص بها كل طائفة منها . وكلها مولودة من ذكر وأنثى وكل ذلك داخل في طي العموم الذي تصدع به الآية الشريفة

وعلى ذلك فباطل قول من يقول : قد يتخلق من انواع المأكولات المودعة باطن القوارير ديدان اشأت من ذلك المأكول الذي تسنه « من غير أبوين » ووجه البطلان انه رُئي في الهواء شيء لا عداد له من انواع البكتيريا « الدعاميص » التي تفسد كل طعام تدخله مع الهواء ولا شك انها تتناسل من ذكر وأنثى ، ولهذا لو أصبحت علب المأكولات فارغة من الهواء واستؤصلت شأفة ما بها من البكتيريا لعاش ما أودع فيها من المأكول أياماً كثيرة بدون ان تتخلق فيها دودة واحدة من غير أبوين « ١ »

(١) وكان ينبغي أن نجعل هذا البحث بعنوان علم البكتيريا أو الحشرات ولكن جعلناه تحت علم الحيوان لان كل ذلك من الحيوان

وعلى ذلك فلا شيء يوجد من غير شيء فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * والأزواج جمع زوج وهو يطلق على الواحد المذكر أو المؤنث بملاحظة ضده المؤنث أو المذكر فانظر كيف بين الأزواج كلها بقوله (مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) ولا شك أن أزواج البكتيريا كانت مما لا يعلمون، وربما كانت هناك أزواج مما لا نعلم نحن اليوم أيضا)

الافصدق الله إذ يقول (ومن كل شيء مائة زوجين لعالمكم تذكرون) قد كنا نقرأ هذه الآية الشريفة فنظن أنها ترمي إلى ما يقع تحت حواسنا من أنواع الحيوان والنبات وقليل ما هي فلما عرفنا شيئا عن علماء النبات والحيوان المحدثين وجدنا هذه الآية الكريمة تتكشف عن دائرة هائلة مترامية الأرجاء جداً وجدناها تشمل أصناف الحيوان كلها التي نراها والتي لا نراها إلا بعمل كثير . وجدناها تشمل أنواع النبات التي نعلمها والتي لا نعلم لنا بها من قبل ومن بعد . وربما تتراعى الدائرة إلى أكثر من ذلك لو صدق الظن بأن في الجمادات زوجين كذلك كما يقول بعض علماء طبقات الأرض، فهذا معنى العموم في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ولا عموم اشمل من كل شيء (فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وحسبنا الآن من علمي الحيوان والنبات هذا لأننا اليوم نولي وجهتنا شطراً ما كان غامضاً من الآيات فيما مضى ثم تفتح اليوم عن أنوار أودعتها يد العلم بالغيب في ثنايا أولئك الآيات الباهرات ربما جلاها إلا العلم الحديث فكانت تلك المعجزات الواعظات كلها نزلت من السماء في هذا الزمان

مقدم

﴿ لاستخدام نظريات علم الطب في استنباط الاحكام الشرعية ﴾

(في فهم الايات القرآنية على وجهها)

﴿ التشرريح ﴾ — (أولا)

(قال في الهداية — جزء أول كتاب الصوم)

ولو دأى جائنة أو آمة بدواء فوصل الى جوفه أو دماغه افطر
عند أبي حنيفة رحمه الله والذي يصل هو الرطب وقال لا يفطر لعدم
التيقن بالوصول لانضمام المنفذ مرة واتساعه اخرى . وله أن رطوبة
الدواء تلاقى رطوبة الجراحة فيزداد ميلا الى الاسفل فيصل الى الجوف اه
اذا نحن قارنا اليوم بين دليل كل من الامام وصاحبيه وبين ما تعرفناه
من علم التشرريح فيما يتعلق بهذه المسألة فاننا نجد بونا شاسعا وفرقا كبيرا
بينهما فدليل الامام وصاحبيه دليل من ينظر بعقله في محل الحس والمشاهدة
وما تعرفناه من التشرريح مبني على النظر بالعين واللس باليد فشتان بينهما
وكل من الامام وصاحبيه يسوي بين الجائفة والآمة في التعليل
ورحمة الله على الجميع

مع أن ما تعرفه الاطباء من التشرريح ينفي كل سبيل بين الجراحة
في ام الرأس (الآمة) وبين المعدة (الجوف) الا سبيل الدورة الدموية
وهي سبيل لا توصل الدواء من الآمة الى المعدة كما يوصل المرىء الدواء
من الفم الى المعدة . وان آخر ما يوصل الى الجوف من اعلى هو الانف
والعين احيانا فأما الآمة فهي بالنسبة الى صلتها بالمعدة كالجراحة في القدم

وأما قول الامام رحمه الله ان رطوبة الدواء تلاقى رطوبة الجراحة فيزداد ميلا الى الاسفل فيصل الى الجوف فهذا مبني على وجود منفذ يوصل ذلك الدواء من الدماغ الى المعدة مع أن المخ لا يسمح بشيء من هذا يمر عليه فلا ينزل الى الاسفل مهما كان الدواء رطوبها ، فأما الجائفة فالتعليل بذلك صحيح في حقها ،

وعلى ذلك يكون القول الصواب هو قول الصحابين رحمهما الله تعالى وهو أن ذلك الصائم لا يفطر بالرغم من وصول الدواء الذي في الأئمة الى الدماغ (كما في أصل المسألة) وان كان دليل الصحابين اصبح واهيا وذلك لا يقدح في المدلول (١)

— ثانيا —

قال في الهداية في كتاب الصوم أيضا
ولو افطر في احليله لم يفطر عند أبي حنيفة وقال أبو يوسف رحمه الله يفطر فكأنه وقع لابي يوسف أن بينه وبين الجوف منفذاً ولهذا يخرج منه البول ووقع عند أبي حنيفة أن المثانة بينهما حائل والبول يترشح منه اه نقول والذي تبين بالتشريح من غير ماتخمين اليوم هو ماوافق دليل الامام رحمه الله وعليه فيرتفع الخلاف ويصبح دليل أبي يوسف رحمه الله غير موافق للصواب ولذلك قال الكمال بن الهمام حاشية على ذلك :
يفيد أنه لاخلاف لو اتفقوا على تشريح هذا العضو اه وسنقتصر من باب الصوم على هذين الفرعين وكفى بهما نموذجاً

(١) لانه قد ينهار الدليل ويسلم المدلول اذ أن المدلول لازم والدليل ملازم فاذا بطل المزوم لا يلزم منه بطلان اللازم لجواز أن يكون لازماً للمزوم غيره كما تقرر في موضعه

في باب ثبوت النسب

ابن عابدين جزء ثان صفحة ٥٤٤ . قال في متن التنوير . : جاءت امرأة المحبوب بولد بعد التفريق الى سنتين ثبت نسبه . قال في ابن عابدين حاشية على ذلك : قال في التتارخانية ولو كان الزوج محبوبا ففرق القاضي بينهما فجاءت بولد لاقل من سنة اشهر من وقت الفرقة لزمه الولد خلاها أو لم يحل ، وهذا عند أبي يوسف وقال أبو حنيفة رحمه الله يلزمه الى سنتين اذا خلاها

هكذا أثبت بعض الأئمة : رحمهم الله تعالى : النسب من المحبوب (والمحبوب من جبت أعضاؤه التناسلية) ولا دليل لهم في ثبوت هذا النسب من المحبوب عن الشرع بل ادلتهم عقلية (انظر فتح القدير جزء ثان صفحة ٤٧٤)

والذي ثبت في علم التشريع يقينا هو عدم امكان الحمل ممن جب صغيراً (أو ممن جب كبير الو فرض نجاح العمالية وتقادم العهد) لعدم وجود حيوان منوي . وقد أمرنا بسؤال الاطباء فيما لا علم لنا به من طبهم قياسا على سؤال أهل الذكر فيما لا نعلمه من علمهم بقوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وذلك جواب من سألنا من الاطباء الحاذقين فيجب الاخذ به والعمل على وفقه

وقد نهينا عن ان ندعوا شخصا لغيرايه وأمرنا أن ندعوهم لآبائهم ان علمناهم والا فلا نلحقهم باحد ظالما وزورا وذلك الامر في قوله تعالى

(ادعواهم لا بآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) الا وان ائمة من الفقهاء يبالغون في ثبوت النسب مبالغة قد تضر فيعودون على موضوعهم بالنقض (أي ما ظنوه غير ضار يكون ضارا) وحجتهم في ذلك: رحمهم الله : قولهم كي لا يضيع الولد على من يريه : نعم ولكن هذا لا يحدو بنا الى ان نثبت النسب ممن لا يمكن ان يولده فلا يثبت النسب من المحبوب ومن على شاكلته

ثم ان الحكومة المصرية اليوم قد تكفأت بمن لم يثبت نسبه من اللقطاء لتربيته على تفقتها وتنشئه في اكنافها (في القصر العيني)

وحينئذ فلا يضيع الولد على من يريه ولا نلحق ولداً بغير أبيه وحسبي أن اروي هنا قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع « من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » لتعلم خطورة ثبوت النسب الكاذب

— رابعاً —

قال الله تعالى في سورة (قد افاح المؤمنون)

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين) هذا ما عرفه المسلمون منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وهذا الاستكشاف علماء التشريح وهذا ما يعرفه اليوم أطباء الغرب واهل الحضارة ذلك الشرح الدقيق لأطوار الجنين وهو في حجاب المقتل وقراره

المكين نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما كان لدي العرب اذ ذاك تشريح ولم يكونوا على علم بأطوار الآجنة في بطون أمهاتهم . وما كان لاحد من أبناء تلك القرون العمياء ان يشق بطون النساء الحاملات ليتعرف أطوار الاجنة معرفة تنبئ عن استقرار واستقصاء ، ولكن الله يعلمه فأوحى به الى عبده ونبيه وعلمه ما لم يكن يعلم فسبحانه (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض ولذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم)

لبث المسلمون في الايام الخالية يقرءون تلك الآية وأمثالها قراءة تعبديّة فحسب ، ويمرون على ما فيها من علم صادق كما يمرون على خبر من الاخبار الاخرى (يقولون آمننا به كل من عند ربنا) حتى جاء علم التشريح الحديث فكشف لنا عن مكنون هذه الآية الحكيمه ، ومزق ما كان يتغشاها من السر التاريخي . فكأنما نزلت هذه الآية في هذه الايام الاخيره . فتعالى الله اذ يقول لرسوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا)

قد يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليتعاطى صناعة الطب ولا بحث طبيبا فما فائدة الوحي بهذا التفصيل لا طوار الاجنة ??

والجواب ان الوحي الامين نزل بهذا ليكون كالمقدمة المهمة لنتيجة مسلمة وتلك النتيجة هي البعث ، فقد جعل الله الانسان سلسلة أطوار (١) أول حلقاتها طور خلقه من سلالة من طين وثانها طور النطفة وهكذا الى حلقة الموت ثم الحلقة الآخرة وهي البعث ، لانه قال (فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

(١) ولذلك يقول الله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)

فرتب طور البعث على طور الموت وطور الموت على طور الحياة الخ. والمتراب على المحقق الثابت يكون محققا ثابتا مثله ، فكان البحث في تأكيد حصوله مساويا لكل طور من هذه الاطوار في تحققه ، وهذا هو السر في أنه تعالى ساق البعث في عبارة مساوية لعبارة حصول الموت اذ يقول (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

وبذلك نعلم حكمة الايحاء بهذه الاطوار دون غيرها مما يختص بعلم التشريع أيضا فانه لو فرض انه تعالى اوحى اليه بعلم التشريع كله مثلا لخرج الرسول عن أن يكون بشيرا ونذيرا ومرشدا للناس لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم الى أمر فرعي ، وهو أن يكون طيبا يفهم الناس ما نزل عليه من الطب والتشريع . تعالت حكمة الله عن ذلك

الاخلاق والعادات

قد سبق القول بأن الحضارة تشمل (١) العلوم والمعارف الحديثة ، وقد ذكرنا من ذلك نموذجا كافيا يستطيع أن ينسج على منواله كل من انعم النظر في قراءته وتشمل (٢) الاخلاق والعادات التي عليها أهل الحضارة (١) وسنوجز القول في التوفيق بينها وبين الدين الخفيف مع مراعاة التفصيل الذي سنذكره

نرى الاخلاق قسمين (أولا) الاخلاق التي عليها عامة أهل اوربا وذلك ما يسمى عادات قومية سنضرب عنها الذكر صنفان أكثر هذه

(١) بذلك جرى عرف هؤلاء المحدثين واما اخلاق زنج افريقية ونحوهم فلسنا بصددنا

العادات يمتثلها علماء الاخلاق من أهل الحضارة والمدنية انفسهم ويرون
سعادة العالم المتمددين في الخلاص من نيرها الذي يرزح تحت خطره
الدائم شديدهم وشبانهم رجلاهم ونسأؤهم (ثانيا) الاخلاق التي يقدرها
الخاصة من ملوك ووزراء وفلاسفة وعلماء ومن على شاكلتهم ومشاربهم
ولنعني بها الاخلاق العالية التي دونت اصولها ونظرياتهما في كتب قيمة
واسفار غالية وهذه محل عنايتنا في هذه العجالة بايجاز :

التوفيق بالبرهان

(بين الدين الخفيف وبين الحضارة في الاخلاق)

(١) لاشك أن الحضارة التي بدعو اليها فلاسفة اوروبا وامريكا
وسائر البلاد الناهضة هي ماكانت مدعمة بدعامة الاخلاق الفاضلة
كما يقول أمير الشعراء

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا
وحينئذ فيكون بين الحضارة الصحيحة وبين مكارم الاخلاق تلازم
بين (٢) ومما لامرية فيه أن بين الدين الخفيف وبين مكارم الاخلاق
تلازما بينا أيضا فتنتج النتيجة المطلوبة وهي وجود التلازم بين الحضارة
الصحيحة وبين الدين الخفيف حيث الاخلاق الفاضلة وهو المطلوب

ولو كان لدينا من الوقت منفسح لاستخرجنا درر الاخلاق (التي
كشف نظرياتها حديثا علماء الاخلاق) من بحر ذلك القرآن الحكيم درة
درة وروينا روض الفؤاد من شآبيبها الثرة

وان ذلك الامر هين على كل غواص ، وهما هي ذي بعض الآيات التي
اشتملت على الاخلاق التي لا تبلى جديتها على طول الزمان

الايثار (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

هذه آية من آيات المكارم الانسانية تمدح الايثار، وتقضى على تعاليم الأثرة، تمدح خلقا يليق ببني الانساذ، وتهدم خلق النهم والجشم الاثقين ببهيمة الانعام، فمن كان يريد رقي الاخلاق، وعلو صفاته عن مستوى العجاوات، فليعمل بما في هذه الآية الوجيزة ومن كان يريد أن يرجع القهقري حتى يلحق الحيوان الاعجم في اوصافه، فليكن ذا اثرة محبا لنفسه، شرها لا يعرف إلا مصلحته، ولسان حاله يقول: لنا الصدد من العالمين أو القبر، اذامت ظلماتنا فلا نزل القطر. وحسي أن اشير على القاريء بأن يطلع على ما كتبه الباحثون في الاضرار الجسيمة التي تلحق المجتمع اذا فشا فيه داء حب النفس والاثرة حتى يستطيع أن يجزم بأن هذه الكلمات القليلة تشف عن دواء ناجع لداء اجتماعي عضال وكل هذه المكتوبات الضافية العديدة الحديثة شارحة لهذه الآية الشريفة، مبنية لخلق أهل الحضارة الصحيحة

الشريفة خلق الحكمة والحزم وضبط النفس
وعدم الطيش حتى لا يقدم أحد نفسه بيده إلى
الهلاك وعلى ذلك فالذي يبغض نفسه (ينتحر)
مخالف لربه وقد جاءت القوانين الوضعية الحديثة
على تعزيز العمل بما في هذه الآية الشريفة، وليس
في وسم القوانين الوضعية إلا معاقبة الأحياء الذين
يعاونون القاتل نفسه على قتلها بتهيئة السبيل له،
واحضار المواد القاتلة عنده، فأما الذي مات قتيل
نفسه فلا يقدر على عقابه إلا الله يوم الحساب وقد
تنازل الكاتبون الكثيرون ما شتمت عليه هذه
الآية في مکتوبات شتى، ولم اعلم بأن هنالك كاتباً
واحداً من علماء الاجتماع في مشارق الأرض أو
مغاربها أو باحثاً عاقلاً يرى البغض (الاتحار) أمراً
حسناً بل الجميع يشهد بحسن ما في الكلمة القرآنية

الصبر

(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس)
(وتواصوا بالصبر) . مدح الله الصبر وأمر به في
غير آية في القرآن الشريف . والصبر الآن عماد
الغريبيين في كل أعمالهم السديدة الرشيدة، والصبر
في كل أمر تضربه السريعة واجب شرعاً فقد
أمرنا به الله ورسوله

الاخلاق العالية

الآيات القرآنية الشريفة

الشجاعة

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (قل لو كنتم في
يوتكم أبرزالذين كتب عليهم القتل إلى ، ضاجعهم)
الشجاعة ضرورة لكل انسان يريد أن يحيا حياة
طيبة فمن رزقه الله من الشجاعة نصيبا فاز بالحياة ،
ومن كان جبانا فليوء بالوفاة ليكون في امن أمين
وحصن مكين ، عن المخوفات التي تنغص راحته
وتقلق باله في كل حين ، فلا يتمتع بنعيم الحياة للرعب
الذي استهواه ، والجبن الذي تغشاه ، وكل من
الشجاعة والجبن محدود في كتب الاخلاق وقدميز
الاخلاقيون بين الشجاعة والتهور فمدحوا الشجاعة
وذموا التهور وقالوا ان الشجاعة وسط بين اشتهور
والجبن وخير الامور اوسطها وكل فضيلة وسط بين
رذيلتين عند البعض منهم ، ويستبين ذلك جليا
بمراعاة قوله تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)
مع قوله تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)
وردفها ونظائرهما في آيات الكتاب العزيز كثير

العفة

وقد وردت في آيات شتى وليس هنالك اليوم نزاع
بين علماء الاخلاق في أن العفة خلق من امهات
الاخلاق العالية وانها جدرة بالانسان الراقي

الكامل في الانسانية وان عدم العفة من صفات
 الامم الممجية والقبائل المتوحشة ، وانما العسر في
 حصولها والاتصاف بها ، ولذلك لما استولى على
 فريق من ضعفاء النفوس اليأس من التحلي بخلق
 العفة قالوا ان العفة ليست من الاخلاق المدنية
 الجديدة بل هي من مكارم أهل البادية الذين هم
 على طباع خشنة لا تليق باهل التعدين وتستروا
 بستر الحرية مع انهم لو اطلعوا على نظريات
 الاخلاق التي استنبطها علماء الحضارة والمدنية
 الحديثة لرأوها شاهدة عليهم فانهم يقولون ان
 الفضيلة فضيلة في نفسها ولا نثقل الى رذيلة في
 أي عصر من العصور ولا في أي امة من الامم ،
 بل الذي يختلف هو رأي الناس فيها . وحينئذ فتكون
 العفة خلقا لا يتيسر لكل الناس لا يحولها من فضيلة
 الى رذيلة يوما ما ولا يجعلها قاصرة على اناس دون
 سواهم . بل العفة فضيلة على الاخلاق باتفاق
 الاراء وعلى كل انسان يريد التعفف أن يعالج نفسه
 ليخلصها من ذل الفساد ويكون اقدر على النبوغ في
 عمله بالتفرغ له وذلك لا تضيق عنه دائرة الحرية
 الشخصية وهام أولاء رجال الاصلاح في الغرب

على مرأى منا ومسمع يتحسرون من ضياع العفة
في بلادهم وينذرون قومهم بالخراب الذي يهددهم
وهم في عقر ديارهم من جراء الحمجية في الأعراض

أداء الواجب للواجب (ولا تمنن تستكثر) (إنما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وهذه ظاهرة
في افادة النظرية المسطورة

الاحسان في كل شيء (١) (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)

العدل المطلق (واذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى) فلا
محسوبية هنالك ولا واسطة في العدالة

الشجاعة الادبية (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم)
وهذا امر بأن تقول الحق بكل صراحة ولا نخشى
فيه لوما ولا نخاف منه دركا وهذه الشجاعة الادبية
تعتمد من اسمى المبادئ العالية عند علماء الاخلاق

ترك الانتقام السيء (ولا يجز منكم شئاً ان قوم اذ صدوكم عن المسجد
الحرام أن تعتدوا)

العفو عند المقدرة (ولمن صبر وغفر ان في ذلك لمن عزم الامور)
(فمن عفا واصلاح فاجره على الله)

(١) اما الاحسان في العمل فمن قوله تعالى (انا لا نضيم أجر من أحسن
عبدا) والله تعالى كتب الاحسان علينا في كل شيء كما جاء في الحديث الشريف

﴿ حسن المعاملة بين الناس (الذوق) أو علم الاخلاق الاجتماعي ﴾

وهنا ينبغي مراعاة المعاملات الخارجة التي يتعامل بها الناس المتدينون فيما بينهم ليرى أن ما جاء به القرآن من علم الاخلاق الاجتماعي في عهد البداوة وجفاف الطباع دليل على أنه من عالم بالاذواق الواقية والاخلاق العالية التي تليق رقيتها اليوم بأهل النعيم ، جاد يظرفها بالترفين قال الله تعالى وهو خير القائلين (قول معروف ومعة فرقة خير من صدقة يتبعها أذى) (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) (وقولوا للناس حسناً) (ادفع بالتي هي احسن السيئة) « سورة المؤمنون » (وجادلهم بالتي هي احسن) (لا يغترب بعضهم بعضاً) (ولا تأم كل حلاف مهن * هماز مشاء بنميم * مناع للخير ممتد * نيم * عتل بعد ذلك زنيم) (إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) (ولا تصبر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ، ان الله لا يحب كل مختار فخر * واقصد في مشيك واغضض من صوتك) (ولا تقولوا لمن اتقى الله السلام است مؤمناً) (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) (لا تخلصوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهله اذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم ، والله بما تعملون عليم * ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما كنتمون)

(١) وهذه الآية تشتمل على ما هو مدون في كل القوانين المصرية وهو عدم انتهاك حرمة المنازل (اقرأ صفحة ٣٧ من أصول القوانين تأليف محمود كامل مرمي بك وسيد مصطفى بك)

(حسن المعاملة بين أعضاء الاسرة وحقوق المرأة)

(ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) (وعاشروهن بالمعروف) (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف والرجال عليهن درجة) (وبالوالدين إحسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (١)) (يوصيكم الله في أولادكم * وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) الآية (ولا تنسوا الفضل بينكم)

وكذلك ورد النهي عن مخالفة الضمير « الفكر الباطن » (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) هذا الى سائر المنهيات التي دخل معظمها في دائرة القوانين الوضعية وهي مشوبة ببعض مكارم الاخلاق كالنهي عن الزنى . ولا ريب ان تحليل الزنى ليس من الحضارة في شيء ، بل هو عود الى الهمجية الاولى ورجوع الى القهقري حين كان الاشتراك في واحدة مباحا لأفراد القبيلة ، الى آخر ما تقرر في موضعه ، وقد سبق بعض ذلك في خلق العفة . وكذلك النهي عن السرقة والقتل ونحوها ، وعلى انكار ذلك توافق القوانين الوضعية والشرائع السماوية

﴿ الحكم الاخلاقي (٢) لا يصدر الاعلى عمل الارادة (٣) ﴾
(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

(١) وهذا هو التخلق بخلق الوفاء (٢) الاخلاقي نسبة الى الجهر لانه صار علما على علم الاخلاق (٣) كتاب الاخلاق للاستاذ الشيخ أحمد أمين

﴿ الشخص وهو فرد غيره وهو مع الجمهور من حيث التفكير ﴾
 (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)
 ومن ثم قالوا، الجماهير لا تمسك إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت بمكارم
 الاخلاق في أعلى أطوارها، وفي أحدث أحوالها، وقد بعث النبي (ص) :

نموذج

لاستخدام نظريات علم النفس « ١ »

في فهم الآيات القرآنية فهم صحيحها

يقول علماء النفس ان كل حركة نفسية (باطنة) يصحبها شيء من
 حركات الاعضاء الظاهرة، فاذا تحركت النفس حركة سرور ظهرت على
 الوجه علائم السرور، وهنالك تكون أعمال الشخص مصحوبة بسرور
 واذا تحركت النفس حركة نشاط رأيت الجسم ينسدفع للتحرك وكذلك
 حركة الضجر والملل وحركات الكسل ونحو ذلك

وحينئذ فاذا كانت الحركات النفسية متجهة نحو الخير رأيت الافعال
 التي تصدر عن الشخص باختياره أفعالاً خيرية، وإذا كانت حركات النفس
 منبثقة إلى الشر كانت الافعال الظاهرة الاختيارية شراً، لان الدافع على
 إتيان عمل الخير أو الشر انما هو آت من جهة نفس الشخص التي بين جنبيه
 فمقام بالنفس من خير أو شر هو الدافع على عمل الخير أو الشر، واذا تغير

(١) لما كان لعلم النفس مساس كبير بعلم الاخلاق آثرنا ان نردف الاخلاق

بكلمة وجيزة عن علم النفس والدين

ما قام بالنفس تغير العمل الخارجي لذلك يقول الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

فاذا كان القوم في نعمة فان ذلك يدل على ان أنفسهم ميالة الى جلب الخير ، وان ما بأنفسهم هو الباعث على الخير . ولذا كان القوم في ضنك وبؤس ، فان ذلك دليل على ان أنفسهم لا تميل الى جانب النشاط والكدح ، بل أنفسهم نزاعة الى الكسل والتقاعد عن الضرب في الارض لا ابتغاء الرزق ، وكذلك اذا أنعم الله على أمة بنعمة العلم ، فان ذلك برهان بين على ان أنفسهم منبعثة الى التعلم وميالة لجني ثمار العلوم . ثم اذا غيروا ما بأنفسهم من اتباعها جهة التعلم وأحبوا الجهل وآثروا الجهول ، فان الله لا بد ان يغير ما بهم من العلم الى الجهل ، ومن النشاط الى الكسل ، ومن النعمة الى النعمة : وهكذا يغير حالهم التي كانوا عليها ، الى الحال التي وجعوا نفوسهم اليها ، وذلك ما بينه الله في الآية الثمانية بقوله (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

هذه اية العدل والحكمة . وهذا كمال الحكيم والعلم ، وهذا غاية الايجاز والاعجاز ، وهذا ماكد علماء الشرق وفلاسفة الغرب خواطرهم حتى وصلوا الى استنباطه من بين مشاهدات تترى . وتجارب من قبل ذلك كثيرا : وقد وقفوا على ما كان عند المسلمين من لآلي الحكيم المكنونة في غضون الآيات المحكمة : فيحق لنا اليوم ان نقيه بما في الكتاب العزيز من الحكمة نفراً وان نرفع الرأس عالية ونسجد لله شكراً . فقد فهمنا مرمى قول الله لرسوله ، وصدق الله وبلغ رسوله (ذلك نملوه عليكم من الآيات والذكر الحكيم) (ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي

بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

﴿ الدين الاسلامي وحرية الاعتقاد ﴾

قد يخاطب بعض المفكرين لأول وهلة بين (١) « الاعتقاد » وبين (٢) « الدعوة الى الاعتقاد » فيعطونها احكاماً واحداً وهو الحرية التامة لصاحبهما مع أنهما أمران مختلفان اختلافاً بينا لا يجدر بذى فكر ان يغفل عنه . فان الاعتقاد هو ان يعتقد الانسان بقلبه حسن شيء او قبحه ، وصحته أو فساد ، وأباحت أو حظره ، والدعوة الى الاعتقاد ان يدعو غيره الى ان يعتقد مثل اعتقاده ، بأي وسيلة من وسائل الدعوة ، كالنشر في الصحف السيارة أو في المجلات أو تأليف الكتب لترويج الدعوة أو بالمناظرة أو بالخطابة في المحافل الى غير ذلك مما يكون هو المثير لعجابه . وعلى ذلك يكون من الخرق ان نسوي بين الاعتقاد . وبين الدعوة الى الاعتقاد ، ونقول ان الحرية مكفولة فيهما جميعاً ، فالدين الاسلامي يفرق بينهما وكذلك الدستور المصري «م ١٣» واليك بيان ذلك

حكم الاعتقاد

الدين الاسلامي قد كفّل حرية الاعتقاد بالمعنى المتقدم في الدنيا فكل انسان ان يعتقد ما يشاء بدون ان يجبر عليه احد أو يكرهه على ترك اعتقاده احد لقوله تعالى (الاكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * بل الانسان على نفسه بصيرة * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) « من الاكراه »

وليس ذلك الحكم خاصاً بالرسول لعدم دليل الخصوصية . واذا كانت حرية الاعتقاد في الله ورسوله حاصلة في الحياة الدنيا ، فكل اعتقاد سوى

ذلك يكون مكفول الحرية التامة بالاولى - وأما حكم الاعتقاد في الآخرة فهو ان يحاسب صاحبه عليه حسابا دقيقا ثم يجزاه الجزء الاول في وقد أراد السلطان سليمان القانوني من سلاطين الدولة العثمانية ان يكره أهل النمسا والمجر على الاسلام بالسيف ليضطربوا بالجنسية الاسلامية ويضع عن دولته أصر محاربتها ويكون في أمن من غداوتها وطلب الى المفتي اذ ذاك العلامة ابي السعود صاحب التفسير المعروف فافق بمنع ذلك واحتج بقوله تعالى (لا إكراه في الدين) فعند ذلك احبهم السلطان سليمان عن رأيه وهو مرغم بالخضوع لهذه الفتوى ، وامر ان تجعل هذه الفتوى الى جانبه في القبر ليلقى بها الله يوم الحساب . فهل بعد ذلك يقال ان الدين الاسلامي يكره الناس على الاعتقاد به ؟ ان من يقول ذلك يكون قد ظلم الله ورسوله ، والله ورسوله من ذلك برآء ، ولا يتصور بحال من الاحوال ان يكون لانسان ساطان على قلب انسان غيره بالقوة والقهر ؛ فلا يتعاق الاكراه حينئذ بالقلب البتة ، بل مكانه الحواس الظاهرة ، ألا ترى الى قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)

ولذلك نفى الله تعالى جنس الاكراه في الاعتقاد بلا النافية للجنس فقال (لا إكراه في الدين) فنفي وقوع الاكراه في الدين والاعتقاد لاستحالة حصول الاكراه للقلب ، ويتبع ذلك فهم -كم- معالجة الاكراه في الدين بواسطة الحواس الخارجة ، فان معالجة المحال ، وهو الاكراه في الدين عبث وضلال يصان عنه العقلاء

﴿ حكم الدعوة الى الاعتقاد ﴾

ان الذي يدعو الناس الى أن يعتدوا مثل ما يعتقد ، إنما هو مهاجم لهم

في عقائدهم التي هم عليها ، يريدان يغزوه خلال صدورهم ، لينتهي أن يتغلب عليهم بحججه في طيات ضمائرهم ، وحيث تستقر حبات قلوبهم ، وذلك في مكان لا تستطيع أن تصل اليه يد انسان ، فهذا الداعي إما أن يكون من وراء دعوته الخير للناس ، وإما أن تتكشف دعوته عن شر يحيط بهم ، ولن يخفي إدراك ذلك على كل ذي قلب ، ولن تلبس أحدهما بالآخرى ، كما يلبس الخير بالشر ، فهما ضدان ممتازان الامتياز كله . فان كانت الاولى استحق على الناس المعاونة ، وكان ذلك حقاً عليهم يحاسبون دلي التقصير فيه لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الآية (وتعاونوا على البر والتقوى) وان كانت الثانية وجب على الناس ان يأخذوا على يديه لانه يحملهم على شرفيع منع من ايقاع الناس في ذلك الشر ، وذلك بتجاوزه حد الاعتقاد في نفسه وإسرافه في أمره ، وتماديه في إضلال الناس ، فهذا هو الذي يخرج عن دائرة اعتقاده الى هوائر آراء الناس ، ليخرجهم منها الى شر منحط عنها ، وذلك سفه وعتة وميل عن سبيل الخير - وهو سبيل الله - الى سبيل الشر - وهو سبيل الطاغوت - واعتماد على الناس في اعتقادهم ، وقد عبث بحرية اعتقاد الناس بتضليله إياهم ، وهم على أهدي من القطا ، وهو على متن الضلال مختلط الخطا ، فحق على الناس ألا يعاونوه ولا يسمعو له دعاء لقوله تعالى (ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وقال تعالى (ولا تقهوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن) فهذاني صريح عن ان يدعو أحد غيره الى الشر في الاعتقاد سواء من أوعد بلسانه ومن منع بالقوة عن اعتقاد الخير ولا شك ان الذي يدعو الى شر عادة يجر الى شرور فان أخذوا على يديه نجا ونجوا وإلا هلك وهلكوا . وهذا هو معنى الاخلال بالنظام

العام المنصوص عليه في المادة ١٣ من الدستور المصري في حرية الاعتقاد
والاديان . وانظر الى قوله تعالى في الذين يدعون غيرهم الى أن يعتقدوا
عتقادهم الباطل (ولو ترى اذ الظالمون موقوف عند ربهم يرجع بعضهم الى
بعض القول ، يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا : لو لا أنتم لكننا مؤمنين
قال الذين استكبروا الذين استضعفوا أن نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ
جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل
مكر الليل والنهار إذ نأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أندادا) وقوله
تعالى (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) وقوله تعالى (ربنا انا أطعنا
سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا) كل ذلك دلائل قاطع على ان للداعي الى الشر في الاعتقاد بعد
الاعتقاد الايمان الذي هو خير حكم اخاص به يميز عن التابيين فيجازي على
ضلاله جزاء ، وعلى اضلاله جزاء غيره ، بل يصرح بزيادة عذاب الداعي
أكثر من هذا قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطايكم ، وما هم بمحاملين من خطاياهم من شيء) انهم لكاذبون * وليحملن أثقالهم)
جزاء ضلالهم (وأثقالا مع أثقالهم) جزاء اضلالهم غيرهم . فهذا حكم الاعتقاد
وهذا حكم الدعوة الى الاعتقاد في الشريعة السمحة وفي الدستور المصري

﴿ الدين الاسلامي صالح لكل زمان وكل مكان ﴾

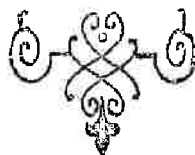
ومن كل ما تقدم يتجلى للقاريء ان الدين الاسلامي لا يضيق ذرعا عن تلك الحضارة الغناء ، بل يتسع لها من غير ما تكاف بكامل أنواعها الخالصة من شائبة الهمجية ، فلا جود في الشريعة الاسلامية ولا تأخر يلحق من يعمل بمقتضاها على النجوى الذي رسمناه همنا ، ولا انحطاط يهدد العالمين بمبادئ الدين الحنيف وبمحدثات الدنيا الحديثة فان معظم الذين تعرضوا لقانون الشريعة الاسلامية من علماء القوانين الوضعية جاھروا بعد طول البحث وتمام التحقيق بأنها صالحة لكل زمان وكل مكان (مع ملاحظة انا لا نقصد بالشريعة الاسلامية ما هو مدون في كتب الفقهاء الاعلام ، فانا لا نتعرض للقول بأن ذلك يمشى مع روح العصر الحاضر في جميع جزئياته «أولا» ولا نقول انه لو خالفت جزئية منه ما هو واقع ييقين يكون ذلك طعنا في الدين فذلك ليس من موضوعنا)

والى القاريء ما جاء بكتاب اصول القوانين للاستاذين كامل بك مرسي وسيد بك مصطفى صفحة ٣٧ بند ١٥ — انقله من غير تصرف الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . وقد توهم البعض أن أحكام الشريعة الاسلامية ثابتة وغير متغيرة وانها مع ذلك تتنافى مع التمدن الحديث وتقدم الامم ولكن هذا اعتقاد غير صحيح وان احكام الشريعة تصاح لكل زمان وكل مكان وذلك :

أولا — لان الخليفة له أن يضع أحكاما بشروط خاصة تتعلق بما

تظله المصلحة العامة بنصوص الحوادث الجديدة وما يصدره من الاحكام
يكون مشروعاً ويجب العمل به شرعاً مادام انه صادر وفقاً للاصول العامة
الشرعية وبذلك يصبح للخليفة أن يصدر كل الاحكام التي تصبح لازمة
بحسب الزمان والمكان

ثانياً — توجد أنظمة شرعية كثيرة لا تختلف في شيء عن الأنظمة الوضعية
في سائر الأمم كحكم عدم انتهاك حرمة المنازل المدون في كل القوانين العصرية
ثالثاً — لان الشريعة الاسلامية لم تكن قواعد دينية خاصة بسرد
واحكام الادب المحررة وعلاقات الناس مع الخالق فقط بل انها ايضا عبارة
عن مجموع احكام اجتماعية صحيحة فنجدها تحوي احكام كل المعاملات والعقود
واحكام الاحوال الشخصية ولزواج والموارث والوصية واحكام حق
الملكية والحقوق الاخرى كعقوق الارتفاق والانتفاع الخ وكذلك تشمل
احكام المرافعات والاجراءات والانظمة القضائية وطرق الاثبات والاحكام
وطرق الطعن، وأيضا تشمل على احكام العقوبات، وبعبارة أخرى فان احكام
الشريعة تشمل كل الأنظمة التي تشتملها القوانين الوضعية في البلاد
الاخرى اهـ



خاتمة جامعة

هذا ما استجمعته القريحة من رياض الشريعة الغراء ، وهذا ما شرح لنا مكنونها من الحضارة الغناء ، فكانت الحضارة عونا على تعزيز دعائم الاسلام ، وكان الدين الاسلامي ذريعة الى تقرير حقائقها ، وباعثا على جني زهراتها وجمع نظرياتها ، ومن بقيت في نفسه بقية من الظن بان الاديان لا تتمشى مع هذه الحضارة ومن بينها دين الحنيفية السهلة السمحة فذلك أحد شخصين إما مكابر لا تقنعه البدهيات ، ولا تكشف شبهته اليقينيات ، وأما قليل الاطلاع ، ضئيل الاستماع ، وكلاهما لا يغير الحق ، ولا يحق ما انمحق بل يجادل نفسه ولا يلوم من غيرها

وقد تسنى لنا في هذه المجال أن نكتب نماذج لا غير للتوفيق العملي بين الحضارة والاسلام على النحو الرقوم في صفحات معدودات يستطيع القاري أن يطالع عليها في جلسات محدودات ، وهو آمن من الملل ، وفي أمن من الزلل ولا يفوتنا أن نودع القاري في هذه الخاتمة باعتذار عما لم نذكره ههنا من العلوم الحديثة الباقية ، فإني لم أسلك سبيل الحصر ولا سقت نموذجاً يفيد القصر ، وإنما بينت نماذج نظريات مختلفة ، ويبقى ما سواها مقيساً عليها من غير ما إلbas فان القياس مرحة للناس ، وذلك مثل ما تقر في علم الاقتصاد السياسي من (١) تشجيع المنتجين على انتاجهم (٢) توزيع العمل والاختصاص ، فالاول يدل عليه قوله تعالى (ولا تبغسوا الناس أشياءهم) مع قوله تعالى (ومن يعترف حسنة نزد له فيها حسنا)

والثاني يدل عليه قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى

فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل: كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم:) وفي هذا الإشارة الى أن الاحتكار ليس من مصلحة الامة في شيء لانه تحكم في تقويم المواد التجارية المحتكرة وكثيراً ما يؤدي ذلك الى حركة عكسية تضاد نظرية العرض والطلب المشهورة في علم الاقتصاد وفي ذلك اضرار كبير بغير الاغنياء لذلك قسم الله الفيء من غير قصر على طائفة مخصوصة كي لا يكون دولة بينها، وممنوعاً عن غيرها

ومثل ما تضافرت عليه القوانين الوضعية المدنية الحديثة من كتابة الدين والاشهاد عليه وهو ما جاءت به آية المداينة المشهورة ويكفي القانون الاسلامي شرفاً على سائر القوانين المدنية انه اشتمل على نظام للنورث عجيب بديع قد خلا منه معظمها وإن كثيراً من المشرعين ليسهمون له بالفضل ويحفظون له مكانة سامية بين القوانين الحديثة وأن موارثهم التي أفروها مجارة لعادات ألفوها: والعادة قانون آخر خير شاهد على علو الميراث الذي أوحى الله به على رسوله النبي الامي

وقد بقيت لدينا أمثلة قليلة نترك أمر الخوض فيها الى الايام القابلة ان شاء الله تعالى

ويلاحظ ههنا أن هذا التوفيق العملي لم يشتمل على شيء من الاحاديث التي تعارض نظريات حديثة يقينية بل اقتصرنا على الآيات القرآنية مع النظريات الحديثة فهما واستنباط أحكام والسرف في ذلك أن الاحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بحسب مصطلح أهل الحديث) كلها أخبار آحاد نتردد بين القريب والعزيز والمشهور الى غير ذلك مما تقرر في موضعه ولا شيء من ذلك يفيد اليقين لانه غير

قطعي الثبوت عن المعصوم وليس منها ما هو متواتر الاحديث » من
كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » على خلاف فيه ؛ لهذا كان من
الشطط أن نحاول التوفيق بين النظريات اليقينية وبين خبر رواء الآحاد
مع التناقض بين الخبر والنظرية وذلك مثل ما رواه البخاري رضي الله عنه
في حديث جابر مما يتعلق بمنابع النيل والفرات وسيحون وجيحون فإن
التوفيق بين المنابع التي شوهدت بالعين ولمست باليد وبين هذه الرواية
أمر عسير غير يسير بل مغيبة ذلك أن يقال : (خبر آحاد يعارض الحس
وحكم ذلك معروف عند أهل الحديث) هذا إلى الاحديث التي تكاد تفوت
الحاسبين في مختلف الكتب وفيها الغث والسمين ؛ فيها الصحيح والموضوع
فهذه ان خالف الواقع شيء منها لا يضر الدين الاسلامي في شيء لان ذلك
حجة غير ملزمة بل هو حجة ظنية فلا ترزع ديناً ثبت بيقين عن الله
ورسوله وعززه العلوم في عنقوان تقدمها وفي اعلى أطوارها (فان الظن
لا يغني من الحق شيئاً) وبذلك يكون الحديث الذي يناقض الواقع بيقين
ليس من الدين ولا يرمى به أهل الدين بل يبرأ منه الله ورسوله وجماعة
المسلمين (كما تقرر في علم الحديث رواية ودراية) قال شيخ من الخوارج
بعد ما تاب : انظروا عمن تأخذون دينكم فاننا كنا اذا أردنا أمر أصبحنا حديثنا
ونحتسب الخير في إضلالكم ؛ اهـ ولا يخفى أن هذا هو حكم الحديث الذي يشتمل
على القصص والاخبار عن الكائنات فاما أحاديث تشريع الاحكام فذلك
محال خلاف بين العلماء السابقين رحمة الله عليهم أجمعين فمنهم من
لا يوجب العمل بقلبة الظن ومنهم من يوجب العمل به ولكل دليل
وليس من موضوعنا هنا

ولا يمنعنا ذلك من أن نستأنس ببعض الاحاديث التي هي أخبار
آحاد على تضديد ما ثبت من اليقينيات البينات ، فاز ذلك يوجب الطمانينة
بقرب الظن من اليقين وما أصدق الظن اذا عضده اليقين

وقد أعرضنا عن الامور الشككية التي لا يمس البحث فيها عقيدة
ولا يعارض نصامتوا تراء لظهور حكم الله فيها وذلك مثل التزيي بازياء
مخصوصة وترك ماسواها والاكل بالشوكة والسكين وحق الشارب واللاحية
والجلوس في المنتديات (القهاوي) واستماع الآلات الموسيقية المختلفة
والتمثيل (كوميديا وبروباجندا) وهدنة القصر في سفر الطيارات ونحو ذلك
مما لم يكن في أيام الرسول وأصحابه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .
بل أوجدتها يد التمدن الحديث .

وأختم هذا الكتاب بكلمة واحدة وهي ان الله رب القلوب الباطنة
والآله النفوس الخالصة ، فمن جعل قلبه لله فذلك عبد الله ولو كان أشعث
أغبى ، ومن اتخذ آلهه هواه ، فالله منه بريء ولو كان أنيقا ظريفا ومن
وافق ظاهره باطنه فذلك ولي الله والله يتولاه وينصره من والاه وكفى
بالله وليا وكفى بالله نصيرا

❦ انتهى والحمد لله أولا وآخرا ❦

